زوائد المؤلفات على
كتب المنهج الدراسي

رسالة شرعية عالمية
معهد المنهج الدراسي الميسر

الشرح الرشيد على

متن شهادة التوحيد

(طريقة سهلة لفهم [لا إله إلا الله])

صالحة للتدريس للمستوى الثالث في العقيدة

تأليف

أبي عبد الله محمد المصنعي

وفقه الله تعالى



زوائد المؤلفات على
كتب المنهج الدراسي الميسر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فشهادة التوحيد (لا إله إلا الله) أعظم الحسنات، وفهمُها والعمل بها أوجب الواجبات، ولذلك جعلتُ هذا التعليق على (متن شهادة التوحيد) تيسرًا للطلبة في دراستها، وقد ألف غير واحد من العلماء في ذلك بين مطول ومختصر، ولكن أرجو أن يكون هذا المتن من أفضلها ترتيبًا، وأتمها وأوعبِها، مع اختصار، قابل شرحه باختصار وتوسط، وطول يصل لأربعة مجلدات، فقد أُلف في فضلها مجلدًا، وفي شروطها مجلدين، وفي معانيها وغير ذلك كتبًا.

وقد شمل هذا المتن أسماءها وفضائلها، ومتى تقال، ومعناها، وشروطها، وإعرابها وغير ذلك.

والله الموفق والحمد لله على كل حال.

كتبه أبو عبد الله المصنعي

١٤٤٧

❊❊❊❊

متن شهادة التوحيد (لا إله إلا الله)

الباب الأول

في معناها وأسمائها وفضائلها ومواضعها

اعلم رحمك الله تعالى أن العلم المتعلق بكلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، وفضائلها وشروطها من أجل العلوم، وفهمه أنفع الفهوم.

الفصل الأول

في أسمائها

فهي: كلمة التوحيد، وكلمة التقوى، وكلمة الإخلاص، والكلمة الباقية، والكلمة الطيبة، وكلمة العِصمة، والعروة الوثقى، والشهادة العظمى، والحسنى، والحسنة الكبرى، والعهد، والتهليل، ومفتاح الجنة، ودعوة الحق، والقول الثابت، وكلمة الله العليا، وكلمة الفلاح، والصواب، والمثل الأعلى، والصدق، والزكاة..



الفصل الثاني

فضائلها وفوائدها

فضائلها كثيرة، وفوائدها طيبة شهيرة، فقد وردت هذه الشهادة في القرآن الكريم أكثر من أربعين مرة، وفي السنة أضعاف أضعاف ذلك.

ومن فضائلها: أنها ركن الدين الأعظم، ومفتاح الجنة الأتم، ووقاية من النار، وسبب لرضا الجبار، وبها تُنال الشفاعة، ويَرجُح الميزان بلا مدافعة، وهي أفضل الكلام، وأكثره أجرًا لأهل الإسلام، وأعلى شعب الإيمان، وأحب القول إلى الرحمن، الدعاء بها مستجاب، وهي أعظم النعم، وأجل المنن، من رزقها في حياته نجا، ومن قالها عند موته كان من أهل الرجاء، وهي سبيل الفلاح، والنصر، وإقامة الدين وتقويةٌ للإيمان، وكفارةٌ للذنوب، وليس دونها ودون الله تعالى حجاب، وفيها اسم الله الأعظم بلا ارتياب، الذي كُرر في القرآن الكريم أكثر من ألفين ومائتين مرة،...



الفصل الثالث

مواضعها في الذكر

تقال في أذكار الصباح والمساء، وعند النوم، والاستيقاظ أثناء النوم، والفزع والتعجب، والاستفتاح، ودبر الصلوات المكتوبات، وافتتاح الخطب والمحاضرات، والرسائل والمؤلفات، والتوبة والاستغفار والدعاء والكربات، وفي الأذان والإقامة والتشهد، والصفا والمروة، وغيرها من الأوقات.



الباب الثاني

في معناها وشروطها

الفصل الأول

معنى (لا إله إلا الله)

معنى هذه الكلمة العظيمة دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف، وفصيح اللغة، وسياق وتركيب الكلام.

وهو: لا معبود حق إلا الله وحده.

وكل معبود سواه فباطل.

وأهل البدع لا يفقهون معناها الحق، ويفسرونها بأهوائهم، وما توارثوه عن زعمائهم.

❊❊❊❊

الفصل الثاني

أركان (لا إله إلا الله) ومقتضاها

واعلم رحمك الله تعالى أنها لا تنفع قائلها، ولا يلحقه شيء من فضائلها، إلا مع اعتقاد معناها ومقتضاها، والبراءة من ضدها، والعمل بركنيها: النفي والإثبات.



الفصل الثالث

شروطها وبيانها

وشروط (لا إله إلا الله) تسعة، ثبتت بالدليل، ومن أنكرها فهو على غير السبيل.

أولها: النطق بها مع القدرة، وهو أول واجب على العبد، ولا يكون مسلماً من عن نطقها تكبر أو جحد.

وثانيها: العلم المنافي للجهل، وحدُّه: العلم بمعناها وركنيها ولوازمها وشروطها، ونحو ذلك.

وثالثها: اليقين بما دلت عليه المنافي للشك، وهو: اطمئنان القلب واستقرار العلم فيه ودوامه، وهو قدر زائد على مجرد العلم، ومثمر للتسليم والعمل.

ورابعها : الصدق المنافي للكذب والنفاق، وهو عنوان الإسلام، والفارق بين أهل الإيمان والكفران، وهو: توافق اللسان بالشهادة مع يقين وعلم القلب، الموافق للحق، وعمل الجوارح بذلك.

وخامسها : الإخلاص الصحيح المنافي للشرك القبيح، وبه يعرف أهل التوحيد من أهل التنديد.

وهو: سلامة القلب والاعتقاد والقول والفعل من الشرك والكفر بأنواعها.

وهو قدر زائد على مجرد النية.

وسادسها : المحبة المنافية للبغض.

المحبة لله تعالى ودينه ورسله، ولكلمة (لا إله إلا الله) ومعناها ومقتضاها وأهلها، والعمل بها. ولازم المحبة البغض والبراءة من الشرك وأهله والتحذير منه، ومن كان أكمل محبة وبراءة كان أكمل توحيدًا.

وسابعها : القبول المنافي للرد والكبر والجحود.

وهو: تسليم القلب لمعناها ودلالاتها، المثمر للانقياد والعمل.

وثامنها : الانقياد المنافي للترك، وهو: نطق اللسان وعمل الجوارح بما دلت عليه، وخضوع القلب وعمله.

وهو قدر زائد على القبول، فأصل القبول بالقلب، وأصل الانقياد بالجوارح.

وتاسعها : البراءة من الشرك وأهله، والكفر بالطاغوت، وهو من لوازم المحبة، وإفراده توضيح لأهميته، فقد يحب التوحيد ولا يبرأ من ضده.

وجميع أهل البدع والضلالة، والشرك والجهالة، مخالفون لهذه الشروط أو بعضها، وكثير منهم توحيده نفي للتوحيد أو بعضه.

❊❊❊❊

الفصل الرابع

إعرابُها

وإعرابها على ما دلت عليه اللغة وقواعد النحو.

(لا) نافية للجنس، و (إله) اسمها، وخبرها محذوف دل عليه السياق، وهو (بحق)، و(إلا) أداة استثناء، ولفظ الجلالة مستثنى. [وتوضيحه في الشرح].



الباب الثالث

قواعد وضوابط في كلمة التوحيد

١ -كلمة التوحيد أول الواجبات.

٢ -كلمة التوحيد تعصم قائلها.

٣- من قال كلمة التوحيد فهو مسلم حتى يُظهر خلافها.

٤- الإقرار بكلمة التوحيد شرط لقبول الأعمال.

٥- من حقق (لا إله إلا الله) دخل الجنة.

٦- كلمة التوحيد لا ينتفع بها إلا العامل بها.

٧- كلمة التوحيد لا تقبل إلا باعتقاد النفي والإثبات.

٨- كلمة التوحيد قول واعتقاد وعمل.

٩- البراءة من الشرك أساس في صحة كلمة التوحيد.

١٠- كلمة التوحيد أصل لصحة الجهاد.

١١- فضائل كلمة التوحيد لكل عبد بقدر تحقيقها.

١٢- كلمة التوحيد الذكر المبارك.

١٣- من كان أكثر ذكرًا بكلمة التوحيد كان أعظم أجرًا.

١٤- كلمة التوحيد تمنع الخلود في النار.

١٥- كلمة التوحيد حسنة لا يعدلها شيء.

١٦- كل عمل خالف كلمة التوحيد أو فقدَها فهو باطل.

١٧- خير الوصايا كلمة التوحيد.

١٨- من مات على كلمة التوحيد فقد ختم له بخير.

١٩- الشفاعة من خصائص أهل كلمة التوحيد.

٢٠- لا يُكفَّر من قال كلمة التوحيد إلا بنقضها.



الشرح

الباب الأول

في معناها وأسمائها وفضائلها ومواضعها

اعلم رحمك الله تعالى أن العلم المتعلق بكلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، وفضائلها وشروطها من أجل العلوم، وفهمه أنفع الفهوم.

الشرح:

(اعلم) كلمة يؤتى بها للتنبيه، ولفت الذهن إلى شيء مهم سيقال، وفيها إشارة إلى أهمية العلم الشرعي.

(رحمك الله تعالى) دعاء بالرحمة، فالعلم رحِم بين أهله، والدعاء للطالب والقارئ يشير إلى أن العلم مبني على التراحم والرفق بين المعلم والمتعلم.

(أن العلم المتعلق بكلمة التوحيد [لا إله إلا الله]...) لأن هذه الكلمة هي أفضل الكلام، وباب النجاة، كما سيأتي.

قَالَ ابْن عُيَيْنَة رحمه الله تعالى: مَا أنعم الله على الْعباد نعْمَةً أعظم من أَن عرفهم (لَا إِلَه إِلَّا الله)، فإن (لا إله إلا الله) لهم في الآخرة كالماء في الدنيا [(١)].

وقال ابن رجب رحمه الله تعالى: كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، تلكم الكلمة العظيمة الجليلة التي هي أفضل الكلمات العظيمة وأجلها على الإطلاق، = بل هي رأس الدين وأساسه ورأس أمره، لأجلها خلقت الخليقة، وأرسلت

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٧/ ٢٧٢) قال: حدثنا أبو محمد بن حيان، ثنا علي بن رستم، ثنا إبراهيم بن معمر، وإسحاق بن إبراهيم، قالا: سمعنا سفيان... وهذا إسناد صحيح.

ورواه البيهقي في الشعب (٤١٨١) بإسناده إلى إسحاق به.

الرسل، وأنزلت الكتب، وبها افترق الناس إلى مؤمنين وكفار، وهي زبدة دعوة المرسلين وخلاصة رسالاتهم، وهي أعظم نعم الله على عباده. (كلمة الإخلاص/ ٣٥)

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله تعالى: فاللهَ اللهَ يا إخواني، تَمَسَّكوا بأصْلِ دينِكم، وأوَّلِه وآخِرِه، وأُسُّهُ ورأسُهُ: (شهادةُ أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، واعْرِفوا معناها، وأَحِبُّوها، وأَحِبُّوا أهلَها. (تفسير كلمة التوحيد).

فالتوحيد أول ما يتعلمه المسلم، وأوجب ما يدعو الناسَ إليه، فهو عمدة الأصول التي ينطلق منها المعلم في تعليمه، والداعية في دعوته إلى الله تعالى.

ومن هذا المنطلق وعملًا بقوله تعال: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ﴾ قمنا بجمع هذا المتن، ثم التعليق عليه، والله الموفق.



الفصل الأول

في أسمائها

فهي: الشهادة، وكلمة التوحيد، وكلمة التقوى، وكلمة الإخلاص، والكلمة الباقية، والكلمة الطيبة، وكلمة العِصمة، والعروة الوثقى، والشهادة العظمى، والحسنى، والحسنة الكبرى، والعهد، والتهليل، ومفتاح الجنة، ودعوة الحق، والقول الثابت، وكلمة الله العليا، وكلمة الفلاح، والصواب، والمثل الأعلى، والصدق، والزكاة...

الشرح:

هذه الأسماء وغيرها لهذه الكلمة العظيمة تدل على فضلها، فكثرة الأسماء تدل على عظمة المسمى، وكثرة الأسماء دالة على شرف المسمى.

وشرحها كالتالي:

١- (الشهادة) لاشتمال لفظها على التشهد، ومنه سمي التشهد في الصلاة.

وقال البخاري: باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام.

وذكر حديث ابن عباس الآتي.

٢- (كلمة التوحيد) سميت بذلك لاشتمال معناها على إفراد الله تعالى بالألوهية والربوبية.

لحديث ابن عباس في بعث معاذ رضي الله عنهم، وفيه: (فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تَعَالَى) (خ ٧٣٧٢)، وفي (خ ١٤٩٦) بلفظ: (فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ) وعن معاذ رضي الله عنه (م ١٩) نحوه. فجعل لفظ التوحيد هو الشهادة.

وفي (خ ٨) (م ١٦) عَنِ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ)، وفي لفظ لمسلم: (بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسَةٍ، عَلَى أَنْ يُوَحَّدَ اللهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصِيَامِ رَمَضَانَ، وَالحَجِّ).

وأكثر أهل العلم أن كلمة التوحيد هي: (لا إله إلا الله)، وذهب بعضهم إلى أنها الشهادتان معًا.

رُوي عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ، وَزَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ، قَالَا: كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.

٣- (وكلمة التقوى) أضيفت إلى التقوى لأنها سببه وأساسه، ولأن من قالها بصدق وقته من النار والكفر.

قال تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾.

وعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» رواه الترمذي (٣٢٦٥) وصححه الألباني.

٤- (وكلمة الإخلاص) سميت بذلك لأن معناها يدل على إفراد الله تعالى بالقصد والعبادة.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ، رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِ، عَلَى هَذَا الْمِنْبَرِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَنْ تُؤْتَوْا شَيْئًا بَعْدَ كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ مِثْلَ الْعَافِيَةِ، فَسَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ» رواه أحمد (١٠) وابن حبان (٩٥٠) وصححه الألباني وغيره.

وجاء عن ابْنِ عَبَّاس قال: إن أفضل الْكَلَام لَا إِلَه إِلَّا الله كلمة الإخلاص.

٥- (والكلمة الباقية) سميت بذلك لأن الله تعالى جعلها دائمة في الأرض حتى قيام الساعة، وهي من الباقيات الصالحات التي يبقى أجرها.

قال تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ قال عامة المفسرين: هي (لا إله إلا الله).

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «أي: جعل هذه الموالاة والبراءة من كل معبودٍ سواه كلمة باقية في عقبه يتوارثها الأنبياء وأتباعهم عن بعض، وهي كلمة لا إله إلا الله. وهي التي ورَّثها إمام الحنفاء لأتباعه إلى يوم القيامة»[١].

٦- (والكلمة الطيبة) بمعنى الخالصة، لإخلاص التوحيد بها.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ قال ابن رجب رحمه الله تعالى: فالكلمةُ الطيبةُ، هي: كلمةُ التوحيدِ، وهي أساسُ الإسلامِ. (تفسيره)، وبه قال أكثر أهل العلم.

٧- (وكلمة العِصمة) لأنها تجعل لقائلها حرمة في دمه وعرضه وماله، وتمنع التعدي عليه إلا بحق.

عن هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَمَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي نَفْسَهُ وَمَالَهُ، إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ) متفق عليه (خ ٢٩٤٦) (م ٢١).

---

(١) "بدائع التفسير" (١٣٣).

وعن جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ الله الْبَجَلِيَّ رضي الله عنه قال: إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ بَعَثَ بَعْثًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى قَوْمٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَإِنَّهُمُ الْتَقَوْا فَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِذَا شَاءَ أَنْ يَقْصِدَ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ لَهُ فَقَتَلَهُ، وَإِنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ غَفْلَتَهُ، قَالَ: وَكُنَّا نُحَدَّثُ أَنَّهُ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، فَلَمَّا رَفَعَ عَلَيْهِ السَّيْفَ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَقَتَلَهُ، فقَالَ ﷺ: «فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟».

قَالَ: يَا رَسُولَ الله، اسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: «وَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» قَالَ: فَجَعَلَ لَا يَزِيدُهُ عَلَى أَنْ يَقُولَ: «كَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (م ٩٧). الشاهد: أن من قالها لا يحل قتله إلا لم يقم بحقها.

وعَنْ عَبْدِ الله رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ الله، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلاَثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالمَارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ). متفق عليه (خ ٦٨٧٨) (م ١٦٧٦). والأدلة في هذا كثيرة.

٨- (والعروة الوثقى) ومعناه: المقبض الأشد ثباتًا، فمن تمسك بها نجا من السقوط في الشرك والنار.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى الله وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى الله عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾. قال سعيد بن جبير: العروة الوثقى: لا إله إلا الله.

وقال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِالله فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

٩- (والشهادة العظمى) تتضمن الشهادة لله تعالى بالواحدانية، ولا أعظم من ذلك.

قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، جاء عن ابْنِ عَبَّاسٍ: مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَعْنِي: خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ.

وقال تعالى: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. قال ابن القيم رحمه الله تعالى: اسْتَشْهد سُبْحَانَهُ بأولى الْعلم على أجل مشهود عَلَيْهِ وهو توحيده.

١٠- (والحسنى) سميت بذلك لأنها أحسن الكلام، وتؤدي إلى الحسنى وهي الجنة.

قال تعالى: ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾، الحسنى: لا إله إلا الله. روي عن أبي عبد الرحمن السلمي والضحاك وغيرهما.

١١- (والحسنة الكبرى) التي لا يعدلها شيء، كما سيأتي في الفضائل.

قال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾.

قال ابن جرير رحمه الله تعالى: يقول تعالى ذكره: (مَنْ جَاءَ) بتوحيد الله والإيمان به، وقول لا إله إلا الله موقنًا به قلبه.

وأسند نحوه عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وإبراهيم النخعي.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوْصِنِي. قَالَ: «إِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً فَأَتْبِعْهَا حَسَنَةً تَمْحُهَا» . قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَمِنَ الحَسَنَاتِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟

قَالَ: «هِيَ أَفْضَلُ الحَسَنَاتِ» رواه أحمد (٢١٤٨٧) وصححه الألباني.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: ولهذا كانت (لا إله إلا الله) أحسن الحسنات، وكان التوحيد بقول: لا إله إلا الله، رأس الأمر. (الفتاوى ١/ ٢٣).

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: "لا إله إلا الله " أفضل الحسنات، وكان توحيد الإلهية الذي كلمته "لا إله إلا الله" رأس الأمر. (طريق الهجرتين ١/ ١١٨).

١٢- (والعهد) أي الحجة التي بين العبد وربه تعالى.

﴿لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْداً﴾ قال ابن كثير رحمه الله تعالى: هي شهادة أن لا إله إلا الله والقيام بحقها.

وعَنِ ابْنِ المُسَيِّبِ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه، أَنَّ أَبَا طَالِبٍ لَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ، دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ: «أَيْ عَمِّ، قُلْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ» وَنَزَلَتْ: ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾.

(خ ٣٨٨٤) واللفظ له (م ٢٥).

١٣- (والتهليل) مأخوذ من لفظ (الإله).

عن عَائِشَةَ رضي الله عنها، تَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّهُ خُلِقَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَى سِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةِ مَفْصِلٍ، فَمَنْ كَبَّرَ اللهَ، وَحَمِدَ اللهَ، وَهَلَّلَ اللهَ، وَسَبَّحَ اللهَ، وَاسْتَغْفَرَ اللهَ، وَعَزَلَ حَجَرًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ شَوْكَةً أَوْ عَظْمًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ، وَأَمَرَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهَى عَنْ مُنْكَرٍ، عَدَدَ تِلْكَ السِّتِّينَ وَالثَّلَاثِمِائَةِ السُّلَامَى، فَإِنَّهُ يَمْشِي يَوْمَئِذٍ وَقَدْ زَحْزَحَ نَفْسَهُ عَنِ النَّارِ» (م ١٠٠٧). وَهَلَّلَ اللهَ: قال: لا إله إلا الله.

١٤- (ومفتاح الجنة) لأن من يقولها بصدق يدخل الجنة.

عن عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: (مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ - أَوْ فَيُسْبِغُ - الْوَضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ. إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ) (م ٢٣٤).

وعَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مِفْتَاحُ الجَنَّةِ شَهَادَةُ أَنَّ لَا إِلَهِ إِلَّا اللهُ». رواه البزار (٢٦٦٠) وغيره. وفيه ضعف.

وَقِيلَ لِوَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ: أَلَيْسَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ مِفْتَاحُ الجَنَّةِ؟ قَالَ: «بَلَى، وَلَكِنْ لَيْسَ مِفْتَاحٌ إِلَّا لَهُ أَسْنَانٌ، فَإِنْ جِئْتَ بِمِفْتَاحٍ لَهُ أَسْنَانٌ فُتِحَ لَكَ، وَإِلَّا لَمْ يُفْتَحْ لَكَ». علقه البخاري (قبل ١٢٣٧).

١٥- (ودعوة الحق) لأنها تدعو إلى عبادة الحق سبحانه وحده وتنفي الشرك.

قال تعالى:﴿لَهُ دَعْوَةُ الحَقِّ﴾ صح عن ابن عباس وعلي وقتادة وغيرهم قالوا: شَهَادَة أَن لَا إِلَه إِلَّا الله.

١٦- (والقول الثابت) القول الحق الذي ثبت بالحجة، ورسخ في القلوب.

قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ﴾. القول الثابت: كلمة التوحيد...

وعَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: (الْمُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي القَبْرِ: يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله)، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ (خ ٤٦٩٩).

١٧- (كلمة الله العليا) العليا فوق الباطل والشرك القاهرة له.

قال تعالى: ﴿وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، قال ابن جرير رحمه الله تعالى: قولُ لا إله إلا الله، هي كلمتُه العليا. وأسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وعَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا القِتَالُ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ فَإِنَّ أَحَدَنَا يُقَاتِلُ غَضَبًا، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً، فَرَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ، قَالَ: وَمَا رَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ قَائِمًا، فَقَالَ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ» (خ ١٢٣) (م ١٩٠٤).

١٨- (كلمة الفلاح) لأن من قالها يفلح ويفوز في الدنيا والآخرة.

عَنْ طَارِقٍ الْمُحَارِبِيِّ رضي الله عنه قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ فِي سُوقِ ذِي الْمَجَازِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ، وَهُوَ يَقُولُ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا).

رواه ابن خزيمة (١٥٩) وغيره وصححه الشيخان.

وعَنْ رَبِيعَةَ بْنِ عِبَادٍ الدِّيلِيِّ مثله، رواه أحمد (١٦٠٢٣) وصححه الشيخان.

١٩- (والصواب) أي: الحق والسداد.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾، روي عن ابن عباس يَقُولُ: إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّبُّ بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَهِيَ مُنْتَهَى الصَّوَابِ.

أسنده ابن جرير. وقال أبو صالح وعكرمة مثله.

٢٠- (المثل الأعلى) أي: الوصف الأكمل، ومنه تفرده بالألوهية.

قال تعالى: ﴿وَلَهُ الْـمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

صح عن قتادة أنه قال: مَثَلُهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَلَا رَبَّ غَيْرُهُ.

٢١- (والصدق)

قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾.

جاء عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قال: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ يَقُولُ: «مَنْ جَاءَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ يَعْنِي: «رَسُولَهُ».

٢٢- (والزكاة) فلا يزكو القلب ولا العبد إلا بقولها وتحقيقها.

قال تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ * الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾، ﴿هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى﴾.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى، في إغاثة اللهفان (٤٩): قال أكثر المفسرين من السلف ومن بعدهم: هى التوحيد: شهادة أن لا إله إلا الله، والإيمان الذى به يزكو القلب، فإنه يتضمن نفى إلهية ما سوى الحق من القلب، وذلك طهارته، وإثبات إلهيته سبحانه؛ وهو أصل كل زكاة ونماء، فإن التزكى - وإن كان أصله النماء والزيادة والبركة- فإنما يحصل بإزالة الشر. فلهذا صار التزكى ينتظم الأمرين جمعياً. فأصل ما تزكو به القلوب والأرواح. هو التوحيد: والتزكية جعل الشىء زكيا، إما فى ذاته، وإما فى الاعتقاد والخبر عنه، كما يقال: عدَّلته وفسَّقته، إذا جعلته كذلك فى الخارج، أو فى الاعتقاد والخبر.

الفصل الثاني

فضائلها وفوائدها

فضائلها كثيرة، وفوائدها طيبة شهيرة، فقد وردت هذه الشهادة في القرآن الكريم أكثر من أربعين مرة، وفي السنة أضعاف أضعاف ذلك.

الشرح:

فضائل كلمة التوحيد كثيرة، في القرآن الكريم، وفي السنة، وفي كلام السلف.

وقد سبق من فضائلها في الباب الأول عدد منها:

(أكثر من أربعين مرة) بألفاظ متعددة منها: (لا إله إلا الله) مرتين، (لا إله إلا أنت) مرة، (لا إله إلا أنا) ثلاث مرات، (لا إله إلا الذي آمنت به) مرة، (لا إله إلا هو) في تسعة وعشرين موضعًا.

وبأسمائها السابقة في الفصل الأول فيما عدا ذلك.

ونشرع في تفصيل ذلك:

١- قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات: ٣٥].

٢- قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾[محمد: ١٩].

٣- قال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾[النحل: ٢].

٤- قال تعالى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾[طه: ١٤].

٥- قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[الأنبياء: ٢٥].

٦- قال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[الأنبياء: ٨٧].

٧- قال تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[يونس:٩٠].

٨- قال تعالى: ﴿وَإِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]

٩- قال تعالى: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[البقرة: ٢٥٥].

١٠- قال تعالى: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[آل عمران: ٢].

١١- قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الحَكِيمُ﴾[آل عمران: ٦].

١٢- ١٣- قال تعالى: (شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الحَكِيمُ﴾[آل عمران: ١٨].

١٤- قال تعالى: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا﴾[النساء: ٨٧].

١٥- قال تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[الأنعام: ١٠٢].

١٦- قال تعالى: ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[الأعراف: ١٥٨].

١٧- قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[التوبة: ٣١].

١٨- قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[التوبة: ١٢٩].

١٩- قال تعالى: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[هود: ١٤].

٢٠- قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾[الرعد: ٣٠].

٢١- قال تعالى: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[طه: ٨].

٢٢- قال تعالى: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[طه: ٨]

٢٣- قال تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللهُ المَلِكُ الحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾[المؤمنون: ١١٦].

٢٤- قال تعالى: ﴿وَهُوَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[القصص: ٧٠].

٢٥- قال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[القصص: ٨٨].

٢٦- قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾[فاطر: ٣].

٢٧- قال تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾[الزمر: ٦].

٢٨- قال تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ المَصِيرُ﴾[غافر: ٣].

٢٩- قال تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾[غافر: ٦٢].

٣٠- قال تعالى: ﴿هُوَ الحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[غافر: ٦٥].

٣١- قال تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾[الدخان: ٨].

٣٢- قال تعالى: ﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾[الحشر: ٢٢].

٣٣- قال تعالى: ﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[الحشر: ٢٣].

٣٤- قال تعالى: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[التغابن: ١٣].

٣٥- قال تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾[المزمل: ٩].

وقد مر ذكر في أكثر من عشرة مواضع باسمائها، وبهذا تجاوزت الأربعين.

(وفي السنة أضعاف أضعاف ذلك) كما سبق، وسيأتي أيضًا ما تيسير منها.



ومن فضائلها: أنها ركن الدين الأعظم، ومفتاح الجنة الأتم،...

الشرح:

١- (أنها ركن الدين الأعظم) لحديث (بني الإسلام على خمس) وقد تقدم.

فلا يصح الإسلام بدونهما بإجماع أهل العلم والمسلمين.

قال ابن رجب رحمه الله تعالى: والمرادُ من هذا الحديث أنَّ الإسلام مبنيٌّ على هذه الخمس، فهي كالأركان والدعائم لبنيانه، فلا يثبت البنيانُ بدونها، وبقيةُ خصالِ الإسلام كتتمة البنيان، فإذا فقد منها شيء، نقص البنيانُ وهو قائم لا ينتقض بنقص ذلك، بخلاف نقضِ هذه الدعائم الخمس؛ فإنَّ الإسلام يزولُ بفقدها جميعِها بغير إشكالٍ، وكذلك يزولُ بفقدِ الشهادتين. (جامع العلوم والحكم/ ١٤٧).

وفي حديث عمر المشهور بحديث جبريل: (أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، قَالَ: صَدَقْتَ) (م ٨). فالشهادتان: الركن الأول والأعظم.

٢- (ومفتاح الجنة الأتم) لحديث: (مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ - أَوْ فَيُسْبِغُ - الْوَضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ. إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ) تقدم.

وعَنْ عُثْمَانَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ» (م ٢٦). وسيأتي معنى العلم في الشروط.

وعَنْ أَبِي جَمْرَةَ، قَالَ: كُنْتُ أَقْعُدُ مَعَ ابْنِ عَبَّاسٍ يُجْلِسُنِي عَلَى سَرِيرِهِ فَقَالَ: أَقِمْ عِنْدِي حَتَّى أَجْعَلَ لَكَ سَهْمًا مِنْ مَالِي فَأَقَمْتُ مَعَهُ شَهْرَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ القَيْسِ لَمَّا أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنِ الوَفْدُ؟» قَالُوا: رَبِيعَةُ. قَالَ: «مَرْحَبًا بِالقَوْمِ، أَوْ بِالوَفْدِ، غَيْرَ خَزَايَا وَلاَ نَدَامَى»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا لاَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيكَ إِلَّا فِي الشَّهْرِ الحَرَامِ، وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الحَيُّ مِنْ كُفَّارِ مُضَرَ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ فَصْلٍ، نُخْبِرْ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا، وَنَدْخُلْ بِهِ الجَنَّةَ، وَسَأَلُوهُ عَنِ الأَشْرِبَةِ: فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ، وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ، أَمَرَهُمْ: بِالإِيمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللهِ وَحْدَهُ» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ المَغْنَمِ الخُمُسَ» وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنِ الحَنْتَمِ وَالدُّبَّاءِ وَالنَّقِيرِ وَالمُزَفَّتِ "، وَرُبَّمَا قَالَ: «المُقَيَّرِ» وَقَالَ: «احْفَظُوهُنَّ وَأَخْبِرُوا بِهِنَّ مَنْ وَرَاءَكُمْ» (خ ٥٣) (م ١٧).

وعَنْ عُبَادَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ» وفي لفظ: (مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ أَيَّهَا شَاءَ). (خ ٣٤٣٥) (م ٢٨).

وعن أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ، وَهُوَ نَائِمٌ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدِ اسْتَيْقَظَ، فَقَالَ: (مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ) قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ».

قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ عَلَى رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ» وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا قَالَ: وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي ذَرٍّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: هَذَا عِنْدَ المَوْتِ، أَوْ قَبْلَهُ إِذَا تَابَ وَنَدِمَ، وَقَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، غُفِرَ لَهُ. (خ ٥٨٢٧) (م ٩٤).

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ مُخْلِصًا دَخلَ الجَنَّةَ» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى، وَإِنْ سَرَقَ، يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى، وَإِنْ سَرَقَ» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى، وَإِنْ سَرَقَ، يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى، وَإِنْ سَرَقَ، وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي الدَّرْدَاءِ» رواه النسائي في الكبرى (١٠٨٩٨).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي مَسِيرٍ، قَالَ: فَنَفِدَتْ أَزْوَادُ الْقَوْمِ، قَالَ: حَتَّى هَمَّ بِنَحْرِ بَعْضِ حَمَائِلِهِمْ، قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ الله، لَوْ جَمَعْتَ مَا بَقِيَ مِنْ أَزْوَادِ الْقَوْمِ، فَدَعَوْتَ اللهَ عَلَيْهَا، قَالَ: فَفَعَلَ، قَالَ: فَجَاءَ ذُو الْبُرِّ بِبُرِّهِ، وَذُو التَّمْرِ بِتَمْرِهِ، قَالَ: وَقَالَ مُجَاهِدٌ: وَذُو النَّوَاةِ بِنَوَاهُ، قُلْتُ: وَمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ بِالنَّوَى؟ قَالَ: كَانُوا يَمُصُّونَهُ وَيَشْرَبُونَ عَلَيْهِ المَاءَ، قَالَ: فَدَعَا عَلَيْهَا قَالَ حَتَّى مَلَأَ الْقَوْمُ أَزْوِدَتَهُمْ، قَالَ: فَقَالَ عِنْدَ ذَلِكَ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، لَا يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ» (م ٢٧).

وعَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (إِذَا قَالَ الْمُؤَذِّنُ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ أَحَدُكُمْ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله، ثُمَّ قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ) (م ٣٨٥).

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ» تقدم.

وعَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَمَعِي نَفَرٌ مِنْ قَوْمِي فَقَالَ: «أَبْشِرُوا وَبَشِّرُوا مَنْ وَرَاءَكُمْ، أَنَّهُ مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ صَادِقًا بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ» فَخَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ ﷺ نُبَشِّرُ النَّاسَ، فَاسْتَقْبَلَنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَرَجَعَ بِنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ الله، إِذًا يَتَّكِلَ النَّاسُ؟ قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ الله ﷺ. رواه أحمد (١٩٥٩٧) وصححه الألباني.

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: (بَشِّرِ النَّاسَ أَنَّهُ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ). رواه النسائي في الكبرى (١٠٨٨٥).

وعن أبي بَكْرٍ رضي الله عنه، يقُولُ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (اخْرُجْ فَنَادِ فِي النَّاسِ مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ)، قَالَ: فَخَرَجْتُ فَلَقِيَنِي عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، فَقَالَ: مَا لَكَ أَبَا بَكْرٍ؟ فَقُلْتُ: قَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: (اخْرُجْ فَنَادِ فِي النَّاسِ مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ)، قَالَ عُمَرُ: ارْجِعْ إِلَى رَسُولِ الله، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَّكِلُوا عَلَيْهَا، فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ: مَا رَدَّكَ؟ فَأَخْبَرْتُهُ بِقَوْلِ عُمَرَ، فَقَالَ: (صَدَقَ). رواه أبو يعلى (١٠٥) وصححه الألباني.

وعن عمرَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (أَذِّن في الناسِ أنهُ مَنْ شَهِدَ: أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، مُخْلِصًا دَخَلَ الجَنَّةَ). رواه البزار () وصححه الألباني (الصحيحة/ ١١٣٥).

وعَنْ ابن عمر رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَنْ دَخَلَ السُّوقَ، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَتَبَ اللهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ، وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ، وَبَنَى لَهُ بَيْتًا فِي الجَنَّةِ) رواه الترمذي (٣٤٢٨/ ٣٤٢٩) وابن ماجه (٢٢٣٥) وغيرهما وصححه الألباني.

وعَنْ رِفَاعَةَ الجُهَنِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْكَدِيدِ – أَوْ قَالَ: بِقُدَيْدٍ – فَجَعَلَ رِجَالٌ مِنَّا يَسْتَأْذِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ فَيَأْذَنُ لَهُمْ، فَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «مَا بَالُ رِجَالٍ يَكُونُ شِقُّ الشَّجَرَةِ الَّتِي تَلِي رَسُولَ الله ﷺ، أَبْغَضَ إِلَيْهِمْ مِنَ الشِّقِّ الْآخَرِ» ، فَلَمْ نَرَ عِنْدَ ذَلِكَ مِنَ الْقَوْمِ إِلَّا بَاكِيًا، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الَّذِي يَسْتَأْذِنُكَ بَعْدَ هَذَا لَسَفِيهٌ. فَحَمِدَ اللهَ، وَقَالَ حِينَئِذٍ: «أَشْهَدُ عِنْدَ اللهِ لَا يَمُوتُ عَبْدٌ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، ثُمَّ يُسَدِّدُ إِلَّا سُلِكَ فِي الجَنَّةِ» رواه أحمد (١٦٢١٥) وصححه الشيخان.



ووقاية من النار، ...

الشرح:

٣- (ووقاية من النار) من قالها خالصًا من قلبه، وعمل بها لم تمسه النار، فإن قصر في العمل دون الشرك ناله منها بقدر ذلك، ثم يؤول إلى الجنة.

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، وَمُعاذٌ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ، قَالَ: «يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ»، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ الله وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «يَا مُعَاذُ»، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ الله وَسَعْدَيْكَ ثَلاَثًا، قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ»، قَالَ يَا رَسُولَ الله: أَفَلاَ أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قَالَ: «إِذًا يَتَّكِلُوا» وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا.

(خ ١٢٨) (م ٣٢).

ومَحْمُودُ بْنُ الرَّبِيعِ الأَنْصَارِيُّ رضي الله عنه، أَنَّ عِتْبَانَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الأَنْصَارِ أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ الله ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله قَدْ أَنْكَرْتُ بَصَرِي، وَأَنَا أُصَلِّي لِقَوْمِي فَإِذَا كَانَتِ الأَمْطَارُ سَالَ الوَادِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ آتِيَ مَسْجِدَهُمْ فَأُصَلِّيَ بِهِمْ، وَوَدِدْتُ يَا رَسُولَ الله، أَنَّكَ تَأْتِينِي فَتُصَلِّيَ فِي بَيْتِي، فَأَتَّخِذَهُ مُصَلًّى، قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «سَأَفْعَلُ إِنْ شَاءَ اللهُ» قَالَ عِتْبَانُ: فَغَدَا رَسُولُ اللهِّ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ حِينَ ارْتَفَعَ النَّهَارُ، فَاسْتَأْذَنَ رَسُولُ الله ﷺ فَأَذِنْتُ لَهُ، فَلَمْ يَجْلِسْ حَتَّى دَخَلَ البَيْتَ، ثُمَّ قَالَ: «أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ أُصَلِّيَ مِنْ بَيْتِكَ» قَالَ: فَأَشَرْتُ لَهُ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ البَيْتِ.

فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَكَبَّرَ، فَقُمْنَا فَصَفَّنَا فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ، قَالَ: وَحَبَسْنَاهُ عَلَى خَزِيرَةٍ صَنَعْنَاهَا لَهُ، قَالَ: فَآبَ فِي البَيْتِ، رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ الدَّارِ ذَوُو عَدَدٍ، فَاجْتَمَعُوا، فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: أَيْنَ مَالِكُ بْنُ الدُّخَيْشِنِ أَوِ ابْنُ الدُّخْشُنِ [(١)]؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: ذَلِكَ مُنَافِقٌ لاَ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (لاَ تَقُلْ ذَلِكَ، أَلاَ تَرَاهُ قَدْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يُرِيدُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ) قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّا نَرَى وَجْهَهُ وَنَصِيحَتَهُ إِلَى المُنَافِقِينَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (فَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ). (خ ٤٢٥) (م ٣٣).

وجاء عن عتبان نفسه. (خ ٦٩٣٨) (م ٣٣/ ٥٤) ولفظه في مسلم: («أَلَيْسَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ؟»، قَالُوا: إِنَّهُ يَقُولُ ذَلِكَ، وَمَا هُوَ فِي قَلْبِهِ، قَالَ: «لَا يَشْهَدُ أَحَدٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، فَيَدْخُلَ النَّارَ، أَوْ تَطْعَمَهُ»، قَالَ أَنَسٍ: فَأَعْجَبَنِي هَذَا الحَدِيثَ، فَقُلْتُ لِابْنِي: اكْتُبْهُ فَكَتَبَهُ).

عَنْ الصُّنَابِحِيِّ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي المَوْتِ، فَبَكَيْتُ، فَقَالَ: مَهْلًا، لِمَ تَبْكِي؟ فَوَاللهِ لَئِنْ اسْتُشْهِدْتُ لَأَشْهَدَنَّ لَكَ، وَلَئِنْ شُفِّعْتُ لَأَشْفَعَنَّ لَكَ، وَلَئِنْ اسْتَطَعْتُ لَأَنْفَعَنَّكَ، ثُمَّ قَالَ: وَاللهِ مَا مِنْ حَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَكُمْ فِيهِ خَيْرٌ إِلَّا حَدَّثْتُكُمُوهُ، إِلَّا حَدِيثًا وَاحِدًا وَسَوْفَ أُحَدِّثُكُمُوهُ الْيَوْمَ، وَقَدِ أُحِيطَ بِنَفْسِي، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ النَّارَ» (م ٢٩).

---

(١) صوابه: الدخشم.

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُغِيرُ إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ، وَكَانَ يَسْتَمِعُ الْأَذَانَ، فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا أَمْسَكَ وَإِلَّا أَغَارَ فَسَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «عَلَى الْفِطْرَةِ» ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «خَرَجْتَ مِنَ النَّارِ» فَنَظَرُوا فَإِذَا هُوَ رَاعِي مِعْزًى. (م ٣٨٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وأَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنهما، أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، صَدَّقَهُ رَبُّهُ، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، وَأَنَا أَكْبَرُ، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ قَالَ: يَقُولُ اللهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، قَالَ اللهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي لَا شَرِيكَ لِي، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، قَالَ اللهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، لِيَ الْمُلْكُ وَلِيَ الحَمْدُ، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله، قَالَ اللهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِي، وَكَانَ يَقُولُ: مَنْ قَالَهَا فِي مَرَضِهِ ثُمَّ مَاتَ لَمْ تَطْعَمْهُ النَّارُ) رواه الترمذي (٣٤٣٠) وابن ماجه (٣٧٩٤) وغيرهما وصححه الألباني.

وعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: (يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ، حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ، وَلَا صَلَاةٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ، يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَنَحْنُ نَقُولُهَا " فَقَالَ لَهُ صِلَةُ: مَا تُغْنِي عَنْهُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ،

وَهُمْ لَا يَدْرُونَ مَا صَلَاةٌ، وَلَا صِيَامٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ رَدَّهَا عَلَيْهِ ثَلَاثًا، كُلَّ ذَلِكَ يُعْرِضُ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّالِثَةِ، فَقَالَ: «يَا صِلَةُ، تُنْجِيهِمْ مِنَ النَّارِ» ثَلَاثًا. رواه ابن ماجه (٤٠٤٩) وغيره وصححه الشيخان.



وسبب لرضا الجبار، وبها تُنال الشفاعة،....

الشرح:

(وسبب لرضا الجبار) هذه الكلمة العظيمة (لا إله إلا الله) في نطقها والعمل بها سبب لرضى الله تعالى عن العبد، دليل ذلك ما مر من الوعد بالجنة والنجاة من النار، ومع قوله تعالى في أهل التوحيد: ﴿قَالَ اللهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، والصادقون هم أهل التوحيد، قاله عدد من المفسرين.

(وبها تُنال الشفاعة) فالشفاعة خاصة بأهل التوحيد، ولا يقبل الله تعالى الشفاعة لمشرك، كما قال تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾.

وقال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ وإنما يأذن لأهل (لا إله إلا الله).

كما في الأحاديث الآتية.

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ» (خ ٤٤) (م ١٩٣).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ أُنَاسٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ» قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ» قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ

اللهَّ، قَالَ: " فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كَذَلِكَ، ... حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ القَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ مِنَ النَّارِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ، مِمَّنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَمَرَ المَلاَئِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوهُمْ، فَيَعْرِفُونَهُمْ بِعَلاَمَةِ آثَارِ السُّجُودِ) متفق عليه (خ ٦٥٧٣) (م ١٨٢).

وعن أبي سعيد نحوه. (خ ٦٥٧٤) (م ١٨٢).

وعَنْ عبدِ الله بن عَمرو رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ عَامَ غَزْوَةِ تَبُوكَ قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يُصَلِّي، فَاجْتَمَعَ وَرَاءَهُ رِجَالٌ مِنْ أَصْحَابِهِ يَحْرُسُونَهُ، حَتَّى إِذَا صَلَّى وَانْصَرَفَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ: (...وَالخَامِسَةُ هِيَ مَا هِيَ، قِيلَ لِي: سَلْ فَإِنَّ كُلَّ نَبِيٍّ قَدْ سَأَلَ، فَأَخَّرْتُ مَسْأَلَتِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ لَكُمْ وَلِمَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ). رواه أحمد (٧٠٦٨) وصححه الألباني وغيره.

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، يَرْفَعُهُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: (مَا زِلْتُ أَشْفَعُ إِلَى رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ وَيُشَفِّعُنِي، وَأَشْفَعُ وَيُشَفِّعُنِي، حَتَّى أَقُولَ: أَيْ رَبِّ شَفِّعْنِي فِيمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. فَيَقُولُ: هَذِهِ لَيْسَتْ لَكَ يَا مُحَمَّدُ وَلَا لِأَحَدٍ، هَذِهِ لِي، وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَرَحْمَتِي، لَا أَدَعُ فِي النَّارِ أَحَدًا يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) رواه ابن أبي عاصم (٨٢٨) وصححه الألباني.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ الله مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي

يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ». (خ ٩٩).

عن صَالِحُ بْنُ أَبِي طَرِيفٍ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: أَسَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمَيْنَ﴾ [الحجر: ٢]؟ فَقَالَ: نَعَمْ سَمِعْتُهُ، يَقُولُ: «يُخْرِجُ اللهُ أُنَاسًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ النَّارِ بَعْدَمَا يَأْخُذُ نِقْمَتَهُ مِنْهُمْ، قَالَ: لَمَّا أَدْخَلَهُمُ اللهُ النَّارَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ، قَالَ الْمُشْرِكُونَ: أَلَيْسَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ فِي الدُّنْيَا أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ فَمَا لَكُمْ مَعَنَا فِي النَّارِ، فَإِذَا سَمِعَ اللهُ ذَلِكَ مِنْهُمْ أَذِنَ فِي الشَّفَاعَةِ، فَيَتَشَفَّعُ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَالنَّبِيُّونَ حَتَّى يَخْرُجُوا بِإِذْنِ اللهِ، فَلَمَّا أُخْرِجُوا، قَالُوا: يَا لَيْتَنَا كُنَّا مَثَلَهُمْ، فَتُدْرِكُنَا الشَّفَاعَةُ، فَنُخْرَجُ مِنَ النَّارِ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمَيْنِ﴾ [الحجر: ٢]، قَالَ: فَيُسَمَّوْنَ فِي الْجَنَّةِ الْجُهَنَّمِيِّينَ مِنْ أَجْلِ سَوَادٍ فِي وُجُوهِهِمْ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا أَذْهِبْ عَنَّا هَذَا الِاسْمَ، قَالَ: فَيَأْمُرُهُمْ فَيَغْتَسِلُونَ فِي نَهْرٍ فِي الْجَنَّةِ فَيَذْهَبُ ذَلِكَ مِنْهُمْ». رواه ابن حبان (٧٤٣٢) وصححه الألباني وغيره.

وقال الترمذي: رُوِيَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَإِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ، وَغَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ التَّابِعِينَ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الآيَةِ ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ قَالُوا: إِذَا أُخْرِجَ أَهْلُ التَّوْحِيدِ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُوا الجَنَّةَ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ.

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَخْرَجَ اللهُ أَهْلَ النَّارِ مِنَ النَّارِ بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، تَمَنَّى الْآخَرُونَ لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ»

رواه ابن أبي عاصم في (٨٤٤)، وصححه الألباني.

ويَرجُح بها الميزان بلا مدافعة،....

الشرح:

(ويَرجُح بها الميزان بلا مدافعة) أجرها عظيم وكبير بحيث إذا وضع في الميزان ثقل ورجح.

عن عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رضي الله عنهما، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ)، قَالَ: «فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ». رواه الترمذي (٢٦٣٩) وصححه الشيخان.

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي اللهُ عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (أَلا أُعَلِّمُكُمْ مَا عَلَّمَ نُوحٌ ابْنَهُ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: آمُرُك بِقَوْلِ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فَإِنَّ السَّمَاوَاتِ لَوْ كَانَتْ فِي كِفَّةٍ لَرَجَحَتْ بِهَا، وَلَوْ كَانَتْ حَلْقَةً قَصَمَتْهَا، وَآمُرُك تُسَبِّحُ اللهَ وَتَحْمَدُهُ، فَإِنَّهُ صَلاةُ الخَلْقِ وَتَسْبِيحُ الخَلْقِ ، وَبِهَا يُرْزَقُ الخَلْقُ). رواه ابن أبي شيبة (٣٠٠٣٨).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو نحوه، وصححه الشيخان.

وهي أفضل الكلام وأعلى شعب الإيمان، وأكثره أجرًا لأهل الإسلام...

الشرح:

(وهي أفضل الكلام وأعلى شعب الإيمان) أفضل الكلام من الذكر وغيره.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»، (م ٣٥)، ولفظ الترمذي وغيره (وَأَرْفَعُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، ولفظ ابن أبي شيبة: (أَعْظَمُهَا لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ).

وعَنِ ابْنِ شِمَاسَةَ الْمَهْرِيِّ، قَالَ: حَضَرْنَا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ، وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ، يَبْكِي طَوِيلًا، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الْجِدَارِ، فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ: يَا أَبَتَاهُ، أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِكَذَا؟ أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِكَذَا؟ قَالَ: فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: إِنَّ أَفْضَلَ مَا نُعِدُّ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ...) (م ١٢١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ، يَوْمَهُ ذَلِكَ، حَتَّى يُمْسِيَ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ) (خ ٣٢٩٣) (م ٢٦٩١).

وعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (أَرْبَعٌ أَفْضَلُ الْكَلَامِ لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ).

رواه ابن ماجه (٣٨١١) وصححه الألباني.

وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنه، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الحَمْدُ للهِ» رواه الترمذي (٣٣٨٣) وابن ماجه (٣٨٠٠) وحسنه الألباني.

وعَنْ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ قَبْلِي عَشِيَّةَ عَرَفَةَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» رواه الطبراني (٨٧٤) وحسنه الألباني بشواهده.

(وأكثره أجرًا لأهل الإسلام) كما تقدم في حديث أبي هريرة، وفيه: (وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ).

وتقدم حديث البطاقة.

وحديث وصية نوح.



وأحب القول إلى الرحمن، والدعاء بها مستجاب...

الشرح:

(وأحب القول إلى الرحمن) وهو بمعنى ما سبق في (أفضل الكلام).

عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى الله أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ الله، وَالحَمْدُ لله، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ. لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ). (م ٢١٣٧).

(والدعاء بها مستجاب)

عن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، فَقَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَ اللهَ بِالِاسْمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ». رواه أبو داود (١٤٩٣) والترمذي (٣٤٧٥) وصححه الشيخان.

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ جَالِسًا وَرَجُلٌ يُصَلِّي، ثُمَّ دَعَا: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الحَمْدُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى» رواه أبو داود (١٤٩٥) والترمذي (٣٥٤٤) والنسائي (١٣٠٠) وصححه الشيخان.

وعن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الحَمْدُ لله، وَسُبْحَانَ الله، وَلاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا

بِاللهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا، اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلاَتُهُ) (خ ١١٥٤).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الكَرْبِ: «لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ، وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ» (خ ٦٣٤٦).

وعَنْ سَعْدٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ: (دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الحُوتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللهُ لَهُ) رواه (٣٥٠٥) وغيره وصححه الشيخان.

وعن شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: (سَيِّدُ الاِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ) قَالَ: «وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ». (خ ٦٣٠٦).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، كَانَ يَقُولُ: «اللهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ» (م ٢٧١٧).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا سَجَدَ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيُّومُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، أَنْتَ الحَقُّ، وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ الحَقُّ، وَقَوْلُكَ الحَقُّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» رواه عبد الرزاق (٢٥٦٤) وهو في الصحيحين (خ ٧٤٩٩) (م ٧٦٩) دون لفظ السجود.

وَعن أَبِي بكرٍ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (دَعَوَاتُ المَكْرُوبِ: اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» رواه أبو داود (٥٠٩٠) وغيره وحسنه الألباني.



وهي أعظم النعم، وأجلُّ المنن، من رزقها في حياته نجا...

الشرح:

(وهي أعظم النعم، وأجل المنن) لأن بها الفوز في الدارين، والنجاة من العذاب كما سبق، وأيضًا فيها الاطمئنان وراحة القلب، كما قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾، وهو نور كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) والطاعة.

وقال تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ﴾ وقال ابن جرير رحمه الله تعالى: قرأ بعض المكيين وعامة الكوفيين: (وأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَةً) على الواحدة، ووجهوا معناها إلى أنه الإسلام، أو إلى أنها شهادة أن لا إله إلا الله... وعندنا أنهما قراءتان مشهورتان.

وعند ابن جرير عن حميد وابن أبي نجيح، قالا: قرأ مجاهد: ﴿وأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَتَهُ ظَاهِرَةً وَباطِنَةً﴾ قال: لا إله إلا الله. وهو صحيح عنه.

وروي نحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما.

قال ابن جرير رحمه الله تعالى: وقوله: (ظاهِرَةً) يقول: ظاهرة على الألسن قولًا، وعلى الأبدان وجوارح الجسد عملًا.

وقوله: (وَباطِنَةً) يقول: وباطنة في القلوب، اعتقادًا ومعرفة.

قَالَ ابْن عُيَيْنَة رحمه الله تعالى: مَا أنعم الله على الْعباد نعْمَة أعظم من أَن عرفهم (لَا إِلَه إِلَّا اللهُ)، فإن (لا إله إلا اللهُ) لهم في الآخرة كالماء في الدنيا [(١)].

(من رزقها في حياته نجا) نجا من الشرك، ونجا من القتل وغيره.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ» (خ ٢٥) (م ٢٢).

وجاء نحوه عن أبي هريرة وعمر رضي الله عنهما (خ ٢٩٤٦، ٧٢٨٤) (م ٢١، ٢٠).



(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٧/ ٢٧٢) قال: حدثنا أبو محمد بن حيان، ثنا علي بن رستم، ثنا إبراهيم بن معمر، وإسحاق بن إبراهيم، قالا: سمعنا سفيان... وهذا إسناد صحيح. ورواه البيهقي في الشعب (٤١٨١) بإسناده إلى إسحاق به.

ومن قالها عند موته كان من أهل الرجاء، وليس دونها ودون الله تعالى حجاب...

الشرح:

(ومن قالها عند موته كان من أهل الرجاء) يرجى له الفوز بالجنة بلا عذاب.

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الجَنَّةَ» رواه أبو داود (٣١١٦) وصححه الألباني.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِنَّهُ مَنْ كَانَ آخِرُ كَلِمَتِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ عِنْدَ المَوْتِ، دَخَلَ الجَنَّةَ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ، وَإِنْ أَصَابَهُ قَبْلَ ذَلِكَ مَا أَصَابَهُ». رواه ابن حبان (٣٠٠٤) وغيره وحسنه الألباني.

وعن أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ رضي الله عنه، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ». رواه مسلم (٩١٦).

وعن عَائِشَةَ رضي الله عنها كَانَتْ تَقُولُ في مرضِ رسولِ الله ﷺ: ...، وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي المَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ، يَقُولُ: «لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ» ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى» حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ. (خ ٤٤٤٩).

(وليس دونها ودون الله تعالى حجاب) تصعد إليه تعالى، والكلمة الطيبة ترفع إليه.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا قَالَ عَبْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ قَطُّ مُخْلِصًا، إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، حَتَّى تُفْضِيَ إِلَى العَرْشِ، مَا اجْتَنَبَ الكَبَائِرَ» رواه الترمذي (٣٥٩٠) وحسنه الألباني. وتقدم حديث وصية نوح.

وهي سبيل الفلاح، والنصر، وإقامة الدين،....

الشرح:

(وهي سبيل الفلاح) وهو الفوز والسلامة في الدنيا والآخرة.

عَنْ طَارِقٍ الْمُحَارِبِيِّ رضي الله عنه قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ فِي سُوقِ ذِي الْمَجَازِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ، وَهُوَ يَقُولُ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا).

رواه ابن خزيمة (١٥٩) وغيره وصححه الشيخان.

وعَنْ رَبِيعَةَ بْنِ عِبَادٍ الدِّيلِيِّ مثله، رواه أحمد (١٦٠٢٣) وصححه الشيخان.

(والنصر) فهذه الكلمة العظيمة من حملها بصدق نصره الله تعالى.

قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾، هذه لمن جاهد لإعلاء كلمة التوحيد، وبه قال أكثر المفسرين.

وتوضحه آية النور: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

(وإقامة الدين) يقيمه بالتوحيد بنشر (لا إله إلا الله) والطاعة.

عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: لَقِيتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي التَّوْرَاةِ؟ قَالَ: (أَجَلْ، وَاللهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي القُرْآنِ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[الأحزاب: ٤٥]، وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ المتَوَكِّلَ لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ، وَلاَ سَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ، وَلاَ يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ المِلَّةَ العَوْجَاءَ، بِأَنْ يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا) (خ ٢١٢٥).



وتقويةٌ للإيمان، وكفارةٌ للذنوب، وفيها اسم الله الأعظم بلا ارتياب، الذي كُرر في القرآن الكريم أكثر من ألفين ومائتين مرة، ...

(وتقويةٌ للإيمان) ويدل عليه حديث شعب الإيمان.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «جَدِّدُوا إِيمَانَكُمْ» قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، وَكَيْفَ نُجَدِّدُ إِيمَانَنَا؟ قَالَ: «أَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

رواه أحمد (٨٧١٠) وضعفه الألباني.

(وكفارةٌ للذنوب) تغفر بها لا سيما ألفاظ الشرك التي تجري على اللسان تكفر بترديد التوحيد. وفي كتاب التوحيد: (**باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب**).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ: (مَنْ حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلِفِهِ: وَاللَّاتِ وَالعُزَّى، فَلْيَقُلْ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ: تَعَالَ أُقَامِرْكَ، فَلْيَتَصَدَّقْ) (خ ٤٨٦٠).

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ: «مَا مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ الله ﷺ، يَرْجِعُ ذَلِكَ إِلَى قَلْبِ مُوقِنٍ إِلَّا غَفَرَ اللهُ لَهَا» رواه ابن ماجه (٣٧٩٦) وحسنه الألباني.

(وفيها اسم الله الأعظم بلا ارتياب، وقد كُرر في القرآن الكريم أكثر من ألفين ومائتين مرة) واسم الله تعالى الأعظم هو لفظ الجلالة، وبه افتتحت آية الكرسي وغيرها.

وقد تكرر بلفظ (الله) كثيرًا، وبلفظ (والله) و(تالله) و(بالله) و(لله)، و(اللهم).

وعن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ

أَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، فَقَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَ اللهَ بِالِاسْمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ». رواه أبو داود (١٤٩٣) والترمذي (٣٤٧٥) وصححه الشيخان.

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ جَالِسًا وَرَجُلٌ يُصَلِّي، ثُمَّ دَعَا: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الحَمْدُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ المَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى». رواه أبو داود (١٤٩٥) والترمذي (٣٥٤٤) والنسائي (١٣٠٠) وصححه الشيخان.



فصل في بعض الأشعار في
فضل كلمة التوحيد

وذكر ابن رجب (في آخر كتاب التوحيد) نظمًا في فضل هذه الكلمة العظيمة:

مَا نطق الناطقون إِذْ نطقـوا ... أحسن من لَا إِلَه إِلَّا هُوَ
تبَارك الله ذُو الْجلَال وَمــن ... أشهـــد أَن لَا إِلَه إِلَّا هُوَ
من لذنوبي وَمـن يمحصها ... غَيْرك يَا من لَا إِلَه إِلَّا هُوَ
جنان خلـــد لـمن يوحده ... أشهـــد أَن لَا إِلَه إِلَّا هُوَ
نيرانه لَا تحـــــــرق من ... يشْهـــد أَن لَا إِلَه إِلَّا هُوَ
أقولهـــا مخلصا بِلَا بخل ... أشهـــد أَن لَا إِلَه إِلَّا هُوَ



الفصل الثالث

مواضعها في الذكر

تقال في أذكار الصباح والمساء...

الشرح:

(تقال في أذكار الصباح والمساء) في الصباح مائة، أو المساء.

وتقال: عشرًا في الصباح وعشرًا في المساء إن لم يقلها مائة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، قَالَ: (مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ، يَوْمَهُ ذَلِكَ، حَتَّى يُمْسِيَ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ) (خ ٣٢٩٣) (م ٢٦٩١).

وعَنْ أَبِي أيوبٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، قَالَ: «مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مَرَّاتٍ، كُتِبَ لَهُ بِهِنَّ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَمُحِيَ بِهِنَّ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ، وَرُفِعَ لَهُ بِهِنَّ عَشْرُ دَرَجَاتٍ، وَكُنَّ لَهُ عَدْلَ عَتَاقَةِ أَرْبَعِ رِقَابٍ، وَكُنَّ لَهُ حَرَسًا مِنَ الشَّيْطَانِ حَتَّى يُمْسِيَ، وَمَنْ قَالَهُنَّ إِذَا صَلَّى المَغْرِبَ دُبُرَ صَلَاتِهِ فَمِثْلُ ذَلِكَ حَتَّى يُصْبِحَ» رواه (٢٠٢٣) وصححه الألباني.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، مَنْ قَالَهَا عَشْرَ مَرَّاتٍ حِينَ يُصْبِحُ، كُتِبَ لَهُ بِهَا مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَ عَنْهُ بِهَا مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ عَدْلَ رَقَبَةٍ، وَحُفِظَ بِهَا يَوْمَئِذٍ حَتَّى يُمْسِيَ، وَمَنْ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ حِينَ يُمْسِي، كَانَ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ) رواه أحمد (٨٧١٩) وصححه الأرنؤوط.

وعَنْ عُمَارَةَ بْنِ شَبِيبٍ السَّبَئِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: (مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مَرَّاتٍ عَلَى إِثْرِ الْمَغْرِبِ بَعَثَ اللهُ لَهُ مَسْلَحَةً يَحْفَظُونَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ حَتَّى يُصْبِحَ، وَكَتَبَ اللهُ لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ مُوجِبَاتٍ، وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ مُوبِقَاتٍ، وَكَانَتْ لَهُ بِعَدْلِ عَشْرِ رِقَابٍ مُؤْمِنَاتٍ). رواه الترمذي (٣٥٣٤) وحسنه الألباني. ومسلحة: ملائكة عليهم سلاح.

وعَنِ الْبَرَاءِ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مَرَّاتٍ، كَانَ كَعَدْلِ رَقَبَةٍ أَوْ نَسَمَةٍ». رواه ابن حبان (٨٥٠) وصححه الألباني.

وقراءة آية الكرسي: ﴿اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ الآية، وأولها كلمة التوحيد.

وعن أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَ لَهُ جُرْنٌ مِنْ تَمْرٍ، فَكَانَ يَنْقُصُ، فَحَرَسَهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَإِذَا هُوَ بِدَابَّةٍ شِبْهِ الْغُلَامِ الْمُحْتَلِمِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، فَقَالَ: مَا أَنْتَ، جِنِّيٌّ أَمْ إِنْسِيٌّ؟ قَالَ: لَا بَلْ جِنِّيٌّ. قَالَ: فَنَاوِلْنِي يَدَكَ. فَنَاوَلَهُ يَدَهُ، فَإِذَا يَدُهُ يَدُ كَلْبٍ، وَشَعْرُهُ شَعْرُ كَلْبٍ، قَالَ: هَكَذَا خَلْقُ الْجِنِّ، قَالَ: قَدْ عَلِمَتِ الْجِنُّ أَنَّ مَا فِيهِمْ رَجُلٌ أَشَدُّ مِنِّي، قَالَ: فَمَا جَاءَ بِكَ؟ قَالَ: بَلَغَنَا أَنَّكَ تُحِبُّ الصَّدَقَةَ، فَجِئْنَا نُصِيبُ مِنْ طَعَامِكَ. قَالَ: فَمَا يُنْجِينَا مِنْكُمْ؟ قَالَ: هَذِهِ الْآيَةُ الَّتِي فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] مَنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي أُجِيرَ مِنَّا حَتَّى يُصْبِحَ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ أُجِيرَ مِنَّا حَتَّى يُمْسِيَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: «صَدَقَ الْخَبِيثُ». رواه الطبراني (٥٤١) وحسنه الألباني.

وعَنْ عَبْدِ الله رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ، إِذَا أَمْسَى قَالَ: «أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى الْمُلْكُ للهِ، وَالْحَمْدُ للهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ» «لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَخَيْرَ مَا بَعْدَهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَسُوءِ الْكِبَرِ، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ». وَإِذَا أَصْبَحَ قَالَ ذَلِكَ أَيْضًا: «أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ للهِ...» (م ٢٧٢٣).

وعن شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: (سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ) قَالَ: «وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ». (خ ٦٣٠٦).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، قَالَ: (مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ أَوْ يُمْسِي: اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ أُشْهِدُكَ وَأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ وَمَلَائِكَتَكَ، وَجَمِيعَ خَلْقِكَ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ. أَعْتَقَ اللهُ رُبُعَهُ مِنَ النَّارِ، فَمَنْ قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَعْتَقَ اللهُ نِصْفَهُ، وَمَنْ قَالَهَا ثَلَاثًا أَعْتَقَ اللهُ ثَلَاثَةَ أَرْبَاعِهِ، فَإِنْ قَالَهَا أَرْبَعًا أَعْتَقَهُ اللهُ مِنَ النَّارِ) رواه أبو داود (٥٠٦٩) وحسنه الأرنؤوط.

وعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ، أَنَّهُ قَالَ لِأَبِيهِ: يَا أَبَتِ إِنِّي أَسْمَعُكَ تَدْعُو كُلَّ غَدَاةٍ «اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَدَنِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي سَمْعِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَصَرِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، تُعِيدُهَا ثَلَاثًا، حِينَ تُصْبِحُ، وَثَلَاثًا حِينَ تُمْسِي»، فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَدْعُو بِهِنَّ فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ. قَالَ: وَتَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ، وَالْفَقْرِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ. تُعِيدُهَا ثَلَاثًا حِينَ تُصْبِحُ، وَثَلَاثًا حِينَ تُمْسِي، فَتَدْعُو بِهِنَّ» فَأُحِبُّ أَنْ أَسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ.

قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (دَعَوَاتُ المَكْرُوبِ «اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»). رواه أبو داود (٥٠٩٠) وحسنه الألباني.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ مُرْنِي بِشَيْءٍ أَقُولُهُ إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ؟ قَالَ: (قُلْ: اللَّهُمَّ عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ، قَالَ: قُلْهُ إِذَا أَصْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ) رواه الترمذي (٣٣٩٢) وصححه الشيخان.



وعند النوم، والاستيقاظ أثناء النوم، والفزع والتعجب...

الشرح:

(وعند النوم) سبق آنفًا حديث أبي هريرة: (اللَّهُمَّ عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ).

وقراءة آية الكرسي وفيها التهليل:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ في قصة حراسة الصدقة: فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ، وَهَذَا آخِرُ ثَلاَثِ مَرَّاتٍ، أَنَّكَ تَزْعُمُ لاَ تَعُودُ، ثُمَّ تَعُودُ قَالَ: دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهَا، قُلْتُ: مَا هُوَ؟ قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ: ﴿اللهُ لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ﴾ حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاَثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ»، قَالَ: لاَ، قَالَ: «ذَاكَ شَيْطَانٌ» علقه البخاري (٢٣١١) ووصله ابن السني وغيره وصححه الألباني.

(والاستيقاظ أثناء النوم) وهو الاستيقاظ في الليل فجأة ونحوه.

أو تعار من الليل: انتبه من نومه.

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا تَضَوَّرَ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ» رواه ابن حبان (٥٥٣٠) وصححه الألباني.

وعن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ،

فَقَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الحَمْدُ للهِ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَلاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا، اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلاَتُهُ) (خ ١١٥٤).

(والفزع والتعجب) الفزع: الخوف من أمر مفاجئ، أو الاستيقاظ من رؤيا مزعجة، والتعجب معروف.

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ يَقُولُ: «لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الفِتْنَةِ، مَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الخَزَائِنِ، مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الحُجُرَاتِ، كَمْ مِنْ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ يَوْمَ القِيَامَةِ» (خ ٥٨٤٤).

(مَاذَا) استفهام وتعجب.



والاستفتاح، ودبر الصلوات المكتوبات،...

الشرح:

(والاستفتاح) وهو الدعاء بعد تكبيرة الإحرام.

عَنْ عَبْدَةَ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ، كَانَ يَجْهَرُ بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ يَقُولُ: «سُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، تَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ» (م ٣٩٩).

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَاسْتَفْتَحَ صَلَاتَهُ كَبَّرَ، ثُمَّ قَالَ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرَكَ»، ثُمَّ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» ثَلَاثًا، ثُمَّ يَقُولُ: «اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا» ثَلَاثًا، «أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ، وَنَفْخِهِ، وَنَفْثِهِ»، ثُمَّ يَقْرَأُ. رواه أبو داود (٧٧٥) وصححه الألباني.

وعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنهما، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي، وَنُسُكِي، وَمَحْيَايَ، وَمَمَاتِي لله رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ».

وَإِذَا رَكَعَ، قَالَ: «اللهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، خَشَعَ لَكَ

سَمْعِي، وَبَصَرِي، وَمُخِّي، وَعَظْمِي، وَعَصَبِي»، وَإِذَا رَفَعَ، قَالَ: «اللهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَاوَاتِ، وَمِلْءَ الْأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا بَيْنَهُمَا، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ»، وَإِذَا سَجَدَ، قَالَ: «اللهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَصَوَّرَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، تَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ»، ثُمَّ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ: «اللهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ». (م ٧٧١).

(ودبر الصلوات المكتوبات) من أذكار الصلاة بعد السلام.

عَنْ وَرَّادٍ مَوْلَى الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: كَتَبَ مُعَاوِيَةُ، إِلَى الْمُغِيرَةِ رضي الله عنهما: اكْتُبْ إِلَيَّ مَا سَمِعْتَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ خَلْفَ الصَّلاَةِ، فَأَمْلَى عَلَيَّ الْمُغِيرَةُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ خَلْفَ الصَّلاَةِ: «لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، اللَّهُمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ» ثُمَّ وَفَدْتُ بَعْدُ إِلَى مُعَاوِيَةَ، فَسَمِعْتُهُ: يَأْمُرُ النَّاسَ بِذَلِكَ القَوْلِ. (خ ٦٦١٥) (م ٥٩٣).

وعَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، قَالَ: كَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ رضي الله عنهما، يَقُولُ: فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ حِينَ يُسَلِّمُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ، وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ».

وَقَالَ: «كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُهَلِّلُ بِهِنَّ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ» (م ٥٩٤).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قال: (مَنْ سَبَّحَ اللهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَحَمِدَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَتْلِكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَقَالَ: تَمَامَ الْمِائَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ) (م ٥٩٧).

وعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ أُمِرْنَا أَنْ نُسَبِّحَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ وَنُحِمِّدَ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ وَنُكَبِّرَ أَرْبَعًا وَثَلاثِينَ فَأُتِيَ رَجُلٌ فِي مَنَامه فَقِيل لَهُ أَمَرَكُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ أَنْ تُسَبِّحُوا فِي دُبُرُ كُلُّ صَلاةٍ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ وَتُحَمِّدُوا ثَلاثًا وَثَلاثِينَ وَتُكَبِّرُوا أَرْبَعًا وَثَلاثِينَ قَالَ: نعم. قَالَ اجْعَلُوهَا خَمْسًا وَعِشْرِين وَاجْعَلُوا فِيهَا التَّهْلِيلَ فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى رَسُولَ الله ﷺ فَأَخْبرهُ فَقَالَ النَّبِي ﷺ: (فافعلوه).

رواه ابن حبان (٢٠١٧) وصححه الألباني.

وآية الكرسي وهي مفتتحة بالتهليل:

وعَن أبي أُمَامَة رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُول الله ﷺ: (من قَرَأَ آيَة الْكُرْسِيّ فِي دبر كل صَلَاة مَكْتُوبَة لم يمنعهُ من دُخُول الْجنَّة إِلَّا أَن يَمُوت) رواه النسائي في عمل اليوم والليلة (١٠٠) وصححه الألباني.

وحديث أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ، (مَنْ قَالَ إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ...) السابق قد يفهم منه أنها تقال في أذكار الصلاة أيضًا.



وافتتاح الخطب والمحاضرات، والرسائل والمؤلفات...

الشرح:

(وافتتاح الخطب والمحاضرات) بعد الحمد يأتي بالتشهد.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «كُلُّ خُطْبَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَشَهُّدٌ، فَهِيَ كَالْيَدِ الجَذْمَاءِ» رواه أبو داود (٤٨٤١) والترمذي (١١٠٦) وصححه الشيخان.

وعَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَامَ عَشِيَّةً بَعْدَ الصَّلاَةِ، فَتَشَهَّدَ وَأَثْنَى عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ». (خ ٩٢٥)

وعَنِ المِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَسَمِعْتُهُ حِينَ تَشَهَّدَ يَقُولُ: «أَمَّا بَعْدُ». (خ ٩٢٦).

وعن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خَرَجَ، وَعُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُكَلِّمُ النَّاسَ، فَقَالَ: «اجْلِسْ»، فَأَبَى، فَقَالَ: «اجْلِسْ»، فَأَبَى، فَتَشَهَّدَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَمَالَ إِلَيْهِ النَّاسُ، ...(خ ١٢٤١).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ ضِمَادًا، قَدِمَ مَكَّةَ وَكَانَ مِنْ أَزْدِ شَنُوءَةَ، وَكَانَ يَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، فَسَمِعَ سُفَهَاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، يَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ، فَقَالَ: لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللهَ يَشْفِيهِ عَلَى يَدَيَّ، قَالَ فَلَقِيَهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، وَإِنَّ اللهَ يَشْفِي عَلَى يَدِي مَنْ شَاءَ، فَهَلْ لَكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ،

أَمَّا بَعْدُ» قَالَ: فَقَالَ: أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، فَأَعَادَهُنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ: فَقَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ، وَقَوْلَ السَّحَرَةِ، وَقَوْلَ الشُّعَرَاءِ، فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، وَلَقَدْ بَلَغْنَ نَاعُوسَ الْبَحْرِ، قَالَ: فَقَالَ: هَاتِ يَدَكَ أُبَايِعْكَ عَلَى الْإِسْلَامِ، قَالَ: فَبَايَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «وَعَلَى قَوْمِكَ»، قَالَ: وَعَلَى قَوْمِي، قَالَ: فَبَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ سَرِيَّةً، فَمَرُّوا بِقَوْمِهِ، فَقَالَ صَاحِبُ السَّرِيَّةِ لِلْجَيْشِ: هَلْ أَصَبْتُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ شَيْئًا؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَصَبْتُ مِنْهُمْ مِطْهَرَةً، فَقَالَ: رُدُّوهَا، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمُ ضِمَادٍ. (م ٨٦٨).

والأحاديث في هذا كثيرة.

(والرسائل والمؤلفات) أي في خطبة الكتاب ونحوه، لعموم الحديث السابق «كُلُّ خُطْبَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَشَهُّدٌ، فَهِيَ كَالْيَدِ الجَذْمَاءِ».



والتوبة والاستغفار والدعاء والكربات...

الشرح:

(والتوبة والاستغفار) ضمن ألفاظ الاستغفار وطلب المغفرة.

قال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[الأنبياء: ٨٧].

قال تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾[محمد: ١٩].

وقال شيخ الاسلام رحمه الله: (وأما من حقق التوحيد والاستغفار فلا بد أن يُرفع عنه الشر) انظر (١٠/ ٢٦٢)

وقال رحمه الله: (فمن أحس بالتقصير في قوله أو عمله أو حاله أو رزقه أو تقلب قلبه فعليه بالتوحيد والاستغفار ففيهما الشفاء إذا كانا بصدق وإخلاص وكذلك إذا وجد العبد تقصيراً في حقوق القرابة والأهل والأولاد والجيران والإخوان فعليه بالدعاء لهم والاستغفار). انظر (١١/ ٦٩٩).

وفي حديث علي السابق في الاستفتاح: (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ)...«اللهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ».

وفي حديث شداد: وعن شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: (سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ،...). الحديث.

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: (مَنْ تَوَضَّأَ، ثُمَّ فَرَغَ مِنْ وُضُوئِهِ فَقَالَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، خُتِمَ عَلَيْهَا بِخَاتَمٍ ثُمَّ وُضِعَتْ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَلَمْ تُكْسَرْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ).

رواه عبد الرزاق (٦٠٢٣) وسنده صحيح.

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، أَنَّهُ قَالَ: (كَلِمَاتٌ لَا يَتَكَلَّمُ بِهِنَّ أَحَدٌ فِي مَجْلِسِهِ عِنْدَ قِيَامِهِ إِلَّا كُفِّرَ بِهِنَّ عَنْهُ، وَلَا يَقُولُهُنَّ فِي مَجْلِسِ خَيْرٍ وَمَجْلِسِ ذِكْرٍ إِلَّا خُتِمَ لَهُ بِهِنَّ عَلَيْهِ كَمَا يُخْتَمُ بِالْخَاتَمِ عَلَى الصَّحِيفَةِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ) رواه أبو داود (٤٨٥٧) وصححه الألباني.

وجاء مرفوعًا عن عائشة وغيرها وصححه الشيخان.

وعَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: بِآخَرَةٍ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ مِنَ الْمَجْلِسِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ لَتَقُولُ قَوْلًا مَا كُنْتَ تَقُولُهُ فِيمَا مَضَى، فَقَالَ: «كَفَّارَةٌ لِمَا يَكُونُ فِي الْمَجْلِسِ». رواه أبو داود (٤٨٥٩) وصححه الألباني.

وعن زَيْدٍ رضي الله عنه، مَوْلَى النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: (مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيَّ الْقَيُّومَ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، غُفِرَ لَهُ، وَإِنْ كَانَ قَدْ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ) رواه أبو داود (١٥١٧) والترمذي (٣٥٧٧) وصححه الألباني.

قال الألباني رحمه الله تعالى: جاء من حديث عبد الله بن مسعود و زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر الصديق و أبي هريرة و أبي سعيد الخدري و أنس بن مالك و البراء بن عازب.

(والدعاء والكربات) وقد تقدم ذكر أدلتها.

ومنها دعاء ذي النون، ودعاء الكرب عن ابن عباس، وغيرهما مما تقدم.

****

وفي الأذان والإقامة والتشهد، والصفا والمروة، وغيرها من الأوقات،...

الشرح:

(وفي الأذان والإقامة) تكرر في كل أذان ثلاث مرات، ومع الترجيع خمسًا، ومرتين في الإقامة، ومع التكرار ثلاثًا.

وتقدم حديث عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ وأنس في الأذان.

وعَنْ أَبِي مَحْذُورَةَ رضي الله عنه، أَنَّ نَبِيَّ الله ﷺ عَلَّمَهُ هَذَا الْأَذَانَ: «اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله»، ثُمَّ يَعُودُ فَيَقُولُ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ مَرَّتَيْنِ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ مَرَّتَيْنِ، اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» (م ٣٧٩).

وفي السنن التكبير: (اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ) وهو أصح.

وعن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا أَمَرَ رَسُولُ الله ﷺ بِالنَّاقُوسِ فَيُعْمَلُ لِيُضْرَبَ بِهِ لِلنَّاسِ فِي الجَمْعِ لِلصَّلَاةِ، أَطَافَ بِي وَأَنَا نَائِمٌ رَجُلٌ يَحْمِلُ نَاقُوسًا فِي يَدِهِ ، فَقُلْتُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ تَبِيعُ النَّاقُوسَ؟ قَالَ: وَمَا تَصْنَعُ بِهِ؟ قُلْتُ: أَدْعُو بِهِ إِلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: أَفَلَا أَدُلُّكَ عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: تَقُولُ:

(اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)

قَالَ: ثُمَّ اسْتَأْخَرَ عَنِّي غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ قَالَ: تَقُولُ إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ: (اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، قَدْ قَامَتِ الصَّلَاةُ، قَدْ قَامَتِ الصَّلَاةُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) قَالَ: فَلَمَّا أَصْبَحْتُ أَتَيْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ مَا رَأَيْتُ، فَقَالَ: «إِنَّ هَذَا رُؤْيَا حَقٌّ إِنْ شَاءَ اللهُ، فَقُمْ مَعَ بِلَالٍ فَأَلْقِ عَلَيْهِ مَا رَأَيْتَ فَلْيُؤَذِّنْ بِهِ، فَإِنَّهُ أَنْدَى مِنْكَ صَوْتًا» فَقُمْتُ مَعَ بِلَالٍ فَجَعَلْتُ أُلْقِي عَلَيْهِ وَيُؤَذِّنُ فَسَمِعَ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَهُوَ فِي بَيْتِهِ فَخَرَجَ يُجَرِّرُ رِدَاءَهُ يَقُولُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لَقَدْ رَأَيْتُ مِثْلَ الَّذِي رَأَى. قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «فَلِلَّهِ الحَمْدُ». رواه أبو داود (٤٩٩) وصححه الألباني.

(والصفا والمروة) في الحج والعمرة.

وفي حديث جابر الطويل: (فَلَمَّا دَنَا مِنَ الصَّفَا قَرَأَ: ﴿إِنَّ الصَّفَا والْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ﴾ [البقرة: ١٥٨] «أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللهُ بِهِ» فَبَدَأَ بِالصَّفَا، فَرَقِيَ عَلَيْهِ، حَتَّى رَأَى الْبَيْتَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَوَحَّدَ اللهَ وَكَبَّرَهُ، وَقَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، أَنْجَزَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ» ثُمَّ دَعَا بَيْنَ ذَلِكَ، قَالَ: مِثْلَ هَذَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الْمَرْوَةِ، حَتَّى إِذَا انْصَبَّتْ قَدَمَاهُ فِي بَطْنِ الْوَادِي سَعَى، حَتَّى إِذَا صَعِدَتَا مَشَى، حَتَّى أَتَى الْمَرْوَةَ، فَفَعَلَ عَلَى الْمَرْوَةِ كَمَا فَعَلَ عَلَى الصَّفَا،) (م ١٢١٨).

(وغيرها من الأوقات) للعبد أن يذكر الله تعالى بالتهليل متى تيسر له، في أي ساعة من ليل أو نهار، لعموم أدلة الذكر.

وحديث المائة يفهم منه ذلك، وهو: وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ، يَوْمَهُ ذَلِكَ، حَتَّى يُمْسِيَ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ) (خ ٣٢٩٣) (م ٢٦٩١).

والشاهد: (إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ) فالباب مفتوح للذكر بها.



الباب الثاني

في معناها وشروطها

الفصل الأول

معنى (لا إله إلا الله)

معنى هذه الكلمة العظيمة دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف، وفصيح اللغة، وسياق وتركيب الكلام. وهو: لا معبود حق إلا الله وحده، وكل معبود سواه فباطل.

١- معنى (لا إله إلا الله) عند أهل السنة والجماعة:

الإله: المألوه المعبود.

قال الله تعالى: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٥٩].

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥].

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب[(١)] «واعلم أن معنى الإله هو المعبود، وهذا هو تفسير هذه اللفظة بإجماع أهل العلم، فمن عبد شيئاً فقد اتخذه إلهاً، وجميع ذلك باطل إلا إلهاً واحداً، تبارك وتعالى علواً كبيراً». اهـ فهذا إجماع عند أهل السنة.

---

(١) كما في الدرر السنية (٢/ ١٠٣).

وإذا تقرر أن معنى الإله: المعبود، تبين معنى كلمة التوحيد:

لا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله، وما عبد سواه فباطل.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «التوحيد الذي ذكره الله في كتابه، وأنزل به كتبه، وبعث به رسله، واتفق عليه المسلمون من كل ملة كما قال الأئمة: شهادة أن لا إله إلا الله، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، قال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ [الحج:٦٢]، فالله تعالى هو وحده المعبود بالحق، وما سواه معبود بباطل».

(دل عليه الكتاب والسنة) كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرِ﴾. هو الحق: المعبود الحق، يدعون: يعبدون من دونه باطل.

(وإجماع السلف) نقل الإجماع شيخ الإسلام وغيره.

(وفصيح اللغة، وسياق وتركيب الكلام) فالكلام العربي يفهم معناه من سياقه وإضافته، ولذلك لما سمعت قريش هذه الكلمة علموا أنها تبطل ألوهية غير الله تعالى، وتوجب إفراد الله تعالى بالعبادة وحده، فقالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾، ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾، وسيأتي في إعرابها بيان أن مقتضى اللغة أن الخبر يقدر (بحق).

فتبين بهذا أن معنى لا إله إلا الله ومقتضاها: إفراد الله بالعبادة وترك عبادة ما سواه، وأن معنى الإله هو المألوه: أي المعبود فإذا قال العبد لا إله إلا الله: فقد أعلن وجوب إفراد الله بالعبادة وبطلان عبادة ما سواه من الأصنام والقبور والأولياء وغيرهم.

وبهذا يبطل: ما يعتقده عباد القبور اليوم وأشباههم من أن معنى لا إله إلا الله: هو الإقرار بوجود الله، أو أنه هو الخالق القادر على الاختراع وأشباه ذلك.

أو أن معناها: لا حاكميه إلا لله تعالى، ويظنون أن من اعتقد ذلك وفسر به: (لا إله إلا الله)، فقد حقق التوحيد المطلق، ولو فعل ما فعل من عبادة غير الله كالاعتقاد بالأموات، والتقرب إليهم بالذبائح والنذور والطواف بقبورهم والتبرك بتربهم.

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى بعد ذكر أهل البدع: فهذه الشهادة العظيمة: كل هؤلاء هم بها غير قائمين، وهي متضمنة لإبطال ما هم عليه ورده، كما تضمنت إبطال ما عليه المشركون ورده، وهي مبطلة لقول طائفتي الشرك والتعطيل، ولا يقوم بهذه الشهادة إلا أهل الإثبات الذين يثبتون لله ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات، وينفون عنه مماثلة المخلوقات، ويعبدونه وحده لا يشركون به شيئًا[(١)].

وقال قبلها: قوله (لا إله إلا هو) ذكر محمد بن جعفر أنه قال الأولى وصف

(١) "المدارج" (٣/ ٤٦٢).

وتوحيد، والثانية رسم وتعليم أي قولوا: (لا إله إلا هو) ومعنى هذا أن الأُولى تضمنت: أن الله سبحانه شهد بها وأخبر بها والتالي للقرآن إنما يخبر عن شهادته هو وليس في ذلك شهادة من التالي نفسه، فأعاد سبحانه ذكرها مجردة ليقولها التالي فيكون شاهدًا هو أيضًا.

وأيضًا فالأُولى خبر عن الشهادة بالتوحيد، والثانية خبر عن نفس التوحيد، وختم بقوله العزيز الحكيم(١) فتضمنت الآية توحيده وعدله وعزته وحكمته فالتوحيد يتضمن ثبوت صفات كماله ونعوت جلاله وعدم المماثل له فيها وعبادته وحده لا شريك له، والعدل يتضمن وضعه الأشياء موضعها وتنزيلها منازلها، وأنه لم يخص شيئًا منها إلا بمخصص اقتضى ذلك، وأنه لا يعاقب من لا يستحق العقوبة ولا يمنع من يستحق العطاء، وإن كان هو الذي جعله مستحقًّا، والعزة تتضمن كمال قدرته وقوته وقهره والحكمة تتضمن كمال علمه وخبرته وأنه أمر ونهى وخلق وقدر لما له في ذلك من الحكم والغايات الحميدة التي يستحق عليها كمال الحمد.

فاسمه (العزيز) يتضمن الملك واسمه الحكيم يتضمن الحمد وأول الآية يتضمن التوحيد وذلك حقيقة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وذلك أفضل ما قاله رسول الله والنبيون من قبله.

والحكيم الذي إذا أمر بأمر كان حسنًا في نفسه، وإذا نهى عن شيء كان قبيحًا في

(١) يريد قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

نفسه، وإذا أخبر بخبر كان صدقًا، وإذا فعل فعلًا كان صوابًا وإذا أراد شيئًا كان أولى بالإرادة من غيره، وهذا الوصف على الكمال لا يكون إلا لله وحده.

فتضمنت هذه الآية وهذه الشهادة الدلالة على وحدانيته المنافية للشرك، وعدله المنافي للظلم، وعزته المنافية للعجز، وحكمته المنافية للجهل والعيب، ففيها الشهادة له بالتوحيد والعدل والقدرة والعلم والحكمة، ولهذا كانت أعظم شهادة ولا يقوم بهذه الشهادة على وجهها من جميع الطوائف إلا أهل السنة، وسائر طوائف أهل البدع لا يقومون بها.

وقال الشيخ الفوزان وفقه الله تعالى في رسالة في معنى (لا إله إلا الله): إتضح مِمَّا سبق أَن معنى (لَا إِلَه إِلَّا الله) لَا معبود بِحَق إِلَّا إِلَه وَاحِد وَهُوَ الله وَحده لَا شريك لَهُ، لِأَنَّهُ الْمُسْتَحق لِلْعِبَادَةِ فتضمنت هَذِه الْكَلِمَة الْعَظِيمَة أَن مَا سوى الله من سَائِر المعبودات لَيْسَ بإله حق وَأَنه بَاطِل، لِأَنَّهُ لَا يسْتَحق الْعِبَادَة.

وَلِهَذَا كثيرا مَا يرد الْأَمر بِعبَادة الله مقروناً بنفِي عبَادَة مَا سواهُ، لِأَن عبَادَة الله لَا تصح مَعَ إشراك غَيره مَعَه قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِالله فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوت﴾.

وَقَالَ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم (وَمن قَالَ لَا إِلَه إِلَّا الله وَكفر بِمَا يعبد من دون الله حرم

دَمه وَمَاله)، وكل رَسُول يَقُول لِقَوْمِهِ: ﴿اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ﴾.

إِلَى غير ذَلِك من الْأَدِلَّة. أ،هـ

فلا يكفي قولها باللسان مع الجهل بمعناها، ولا يكفي قولها والعلم بمعناها حتى يجتمع ذلك مع الإخلاص والعمل بمقتضاها، فإن المنافقين يقولون كلمة التوحيد وهم تحت الكفار في النار يوم القيامة؛ لأنهم لا يعتقدون معناها، ولا يخلصون في قولها.

ومقتضاها: البراءة من الشرك وأهله.

ولوازمها: القيام بعبادة الله تعالى وحده، واجتناب معصيته، والبراءة من البدع.



وأهل البدع لا يفقهون معناها الحق، ويفسرونها بأهوائهم، وبما توارثوه عن زعمائهم ومُنظِّريهم.

الشرح:

تقدم بيان معناها عند أهل السنة.

(وأهل البدع) وهم من خالف أصلًا من أصول أهل السنة وولى وعادى عليه.

ومنهم: الرافضة، والشيعة، والصوفية، والخوارج، والجهمية، والمعتزلة، والكلابية، والماتريدية، والأشاعرة، والكرامية، والمرجئة، والقدرية، والحزبيات وغيرها.

ومعنى (لا إله إلا الله) عند هذه الطوائف المبتدعة:

٢- تفسير كلمة (لا إله إلا الله) عند الأشاعرة وأهل الكلام:

الإله: فسَّروه بـ: القادر على الاختراع. الإلهية: القدرة.

قال الشهرستاني: «صار الأشعري إلى أن أخص وصف للإله، هو القادر على الاختراع، فلا يشاركه فيه غيره»(١).

ونحوه قول المعتزلة، غير أن بعضهم فسره بـ: القادر على خلق الأجسام وإحيائها.(٢).

وفسره القشيري الصوفي الأشعري بـ: الرب.

ومنهم من فسر الإله بـ: المستحق لأوصاف العلو والرفعة.

---

(١) "نهاية الإقدام" (ص ٩١)، "حقيقة التوحيد" (ص ٤٧٢-٤٧٥).

(٢) "شرح الأصول الخمسة" (٢٨٣، ٢٨٤).

وقال آخرون: مَن له الخلق والأمر[١].

وقرر الحليمي الأشعري أن الألوهية هي الربوبية[٢].

وبناءً على ما سبق، فسروا كلمة التوحيد:

(لا إله إلا الله) بـ: لا قادر على الاختراع إلا الله.

قال الشيخ سليمان آل الشيخ رحمه الله تعالى رادًّا عليهم: «هذا قول مبتدع، لا يعرف أحد قاله من العلماء، ولا من أئمة اللغة، فهو قول باطل»[٣].

- وتفسيره بـ(الخالق) أو (القادر) قد يستلزم أن يكون كفار العرب مسلمون؛ لأنهم كانوا مقرِّين بأن الله تعالى هو الخالق، ولا أحد يقول بهذا.[٤].

- فهذا التفسير مخالف للأدلة وإجماع السلف والعقل.

فهناك فرقٌ بين معنى كلمة (إله) وكلمة (رب)، فجعلهما بمعنى واحد مردود.

- وبَنَوا على هذا أنه لا شرك إلا ما ناقض الربوبية، فوقعوا في عبادة القبور، وأشركوا في الألوهية، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله تعالى: «علماء الكلام يقولون: لا إله إلا الله:

---

(١) "حقيقة التوحيد" (ص ٤٧٣).

(٢) "شعب الإيمان" (١/ ١٨٦).

(٣) "التيسير" (ص ٦٩).

(٤) "الفتاوى الكبرى" (٦/ ٥٦٦).

لا قادر على الاختراع والخلق والتدبير إلا الله، وهذا غير صحيح، هذا يوافق دين المشركين، فالمشركون يقولون: لا يقْدر على الخلق إلا الله، ولا يحيي إلا الله، لا يميت إلا الله، لا يرزق إلا الله، وهذا توحيد الربوبية»(١).

---

(١) "شرح كلمة التوحيد" (ص ٢٢).

وقال الشيخ عبد العزيز الرشيد رحمه الله تعالى: قوله: (لا إله لا الله) أي: لا معبود بحق إلا الله سبحانه، وهذا معنى الكلمة العظيمة التي تدل عليه الأدلة، خلافاً لمن زعم أن معناها القدرة على الاختراع كما يقوله الأشاعرة، فإن المشركين الذين بعث إليهم الرسول ﷺ يقرون بأن الله هو الخالق الرازق، ولم يدخلهم ذلك في الإسلام، ولما قال لهم: قولوا لا إله إلا الله، أنكروا ذلك ونفروا، وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [ص:٥]، فدل على أن معنى هذه الكلمة هو إفراد الله بالعبادة وترك عبادة ما سواه»(١).

قال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله تعالى: «منهم مَنْ يقول: الإله القادر على الاختراع.

وهذا هو معنى (الرب)، أما (الإله) فليس فيه معنى الخلق، ولا القدرة على الخلق، ولا القدرة على الاختراع، إنما فيه معنى العبادة.

الثاني: وهو قول الأشاعرة والماتريدية ونحوهم في كلامهم المعروف: إن الإله هو المستغني عمَّا سواه، المفتقر إليه كل ما عداه، كما قال السنوسي في «أم البراهين»(٢).

فيفسِّرون (الإله) بـ(الرب)، ويفسرون (الألوهية) بـ(الربوبية)، وعلى هذا عندهم

(١) "شرح الواسطية" (ص ١١) بتصرف.
(٢) (ص ٦٣).

من اتخذ مع الله عز وجل إلهاً آخر يعبده ويخافه ويستغيث به وينذر له ويذبح له، فإنه لا يكفر بذلك عندهم؛ لأنه لم يخالف كلمة التوحيد عندهم». اهـ بتصرف[(١)].

٣- قول المعتزلة في معنى (لا إله إلا الله):

هو كقول الأشاعرة، غير أنهم غَلَوا في التعطيل حتى جعلوا إثبات الصفات لله تعالى شركاً، ونفيها توحيداً.

قال الشيخ الفوزان غفر الله تعالى له: «تفسير (لا إله إلا الله) عند الجهمية والمعتزلة ومن سار على نهجهم هو نفي الأسماء والصفات؛ لأن إثباتها عندهم يكون شركاً، والتوحيد عندهم هو نفي الأسماء والصفات»[(٢)].

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: «ولا يقوم بهذه الشهادة على وجهها من جميع الطوائف إلا أهل السنة، فالفلاسفة أشدُّ إنكاراً لها، وطوائف الاتحادية هم أبعد خلق الله عنها من كل وجه، وطائفة الجهمية تنكر حقيقتها من وجوه، فالجهمية والمعتزلة تزعم أن ذاته لا تحب، ووجهه لا يرى، فهم في الحقيقة منكرون الإلهية»[(٣)].

وكثيرٌ من الجهمية حلولية واتحادية، وسيأتي عند بيان مذهب الصوفية الغلاة.

---

(١) "شرح الواسطية" (١/ ٣٧، ٣٨).

(٢) "شرح كلمة التوحيد" (ص ٢٢).

(٣) "المدارج" (٣/ ٤٦١، ٤٦٢).

٤- تفسير الصوفية لمعنى: (لا إله إلا الله):

هم يحذون حذو الأشاعرة، وإليك البرهان:

قال القشيري الصوفي شرح الأسماء الحسنى بعد ذكر تفاسير الأشاعرة: «والكل متقارب، ويرجع إلى معنى واحدٍ»، يعني: إلى معنى الرب.

وأنكر تفسير (الإله) بـ(المعبود) (١).

وقال زيني دحلان الصوفي القبوري: فإن توحيد الربوبية هو توحيد الألوهية.

وقال: ليس الرب غير الإله.

وفسروا (العبادة) بـ: اعتقاد العابد ثبوت صفة من صفات الربوبية للمعبود؛ وعلى هذا فلا شرك إلا أن يعتقد في المخلوق صفة من صفات الربوبية.

قال القضاعي الصوفي: إن الدعاء بمعنى النداء إذا كان لمن لا يعتقده ربًّا، فليس من العبادة في شيء (٢).

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى بعد رده على الأشاعرة: «وكذلك طوائف من أهل التصوف والمنتسبين إلى المعرفة والتحقيق والتوحيد، غاية ما عندهم من التوحيد هو شهود هذا التوحيد، وأن يشهد أن الله ربُّ كل شيء ومليكه وخالقه، ومعلومٌ أن هذا هو تحقيق ما أقرَّ به المشركون من التوحيد، ولا يصير الرجل

---

(١) نقلاً عن كتاب "حقيقة التوحيد" (ص ٤٧٣-٤٧٦).

(٢) بواسطة "نقض عقائد الأشاعرة" (ص ١٩٥-١٩٧).

بمجرد هذا التوحيد مسلماً فضلاً أن يكون ولياً لله، أو من سادات الأولياء.

وطائفة من أهل التصوف والمعرفة: يقرون هذا التوحيد مع إثبات الصفات، وآخرون يضمون هذا إلى نفي الصفات، فيدخلون في التعطيل مع هذا، وهذا شرٌّ من حال كثير من المشركين[(١)].

* الرد على من فسَّرها بـ(لا خالق إلا الله):

قال الشيخ الفوزان غفر الله تعالى له: «أما تفسيرها بأنه: لا خالق إلا الله هذا تفسير باطل، ليس قاصراً فقط؛ لأن (لا إله إلا الله) لم تأتِ لتقرير أنه لا خالق إلا الله؛ لأن هذا يقرُّ به المشركون، فلو كان معناها: (لا خالق إلا الله) لصار المشركون موحِّدين، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف:٨٧][(٢)].

أما غلاة المتصوفة فحقيقة (لا إله إلا الله) عندهم أغرب مما سبق كما سيأتي بعده.

٥- غلاة المتصوفة يفسِّرون (لا إله إلا الله) بوحدة الوجود.

أو: لا معبود إلا الله، أو لا موجود إلا الله.

والمعنى متقارب، إذ مؤداها أن كل ما في الوجود هو الله.

قال الغزالي: قول: لا إله إلا الله، ومعناها: ألّا يرى إلا الواحد الحق»[(٣)].

وقال آخر: توحيد خاصة الخاصة قائمٌ بالقدم والوحدة.

---

(١) "الفتاوى" (٣/ ١٠١، ١٠٢).

(٢) "الأجوبة المفيدة" (ص ٣٢).

(٣) "مجمع عقائد الصوفية" (ص ٤٣٦).

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «فهؤلاء لم يفرِّقوا بين القديم والحديث، وحقيقة قول هؤلاء الاتحادية الحلول الخاص، وهو أن يكون الموحِّد هو الموحَّد، ولا يوحِّد اللهَ إلا اللهُ، وكل من جعل غير الله يوحِّد الله فهو جاحد»(١).

وقال الشيخ النجمي رحمه الله تعالى رادًّا على من فسر (لا إله إلا الله) بـ(لا موجود إلا الله): هذا كلام خطير يقرر قائله فيه وحدة الوجود، ولكن في قالب وعبارة لا تُنكر، وإذا قال أحدهم: (لا إله إلا الله) فإنه يعتقد في هذه الكلمة أنه لا موجود إلا الله، بمعنى: أن كل الموجودات هي الله». اهـ مختصراً(٢).

وقال الشيخ صالح الفوزان رحمه الله تعالى: «تفسير أهل وحدة الوجود لكلمة التوحيد، فأهل وحدة الوجود (ابن عربي وأتباعه) يقولون: لا إله إلا الله: لا معبود إلا الله، أو: لا إله موجود إلا الله، معنى هذا أن المعبودات كلها هي الله؛ لأن عندهم أن الوجود لا ينقسم بين خالق ومخلوق، بل كله هو الله، هذا معنى وحدة الوجود، يجعلون الوجود يتَّحد ولا ينقسم بين خالق ومخلوق، بل كله هو الله، مهما عبد الإنسان من شيء فإنه قد عبد الله، الذي عبد البقر، والذي عبد الحجر ... كلهم يعبدون الله؛ لأن الله هو الوجود المطلق»(٣).

---

(١) "منهاج السنة" (٥/ ٣٧٠-٣٨٣)".

(٢) "المورد العذب الزلال" (٢٤٣-٢٤٥).

(٣) "شرح كلمة التوحيد" (ص ٢١).

وقال: «وتفسيرها بـ(لا معبود إلا الله) تفسير باطل أيضاً؛ لأنه يلزم عليه وحدة الوجود، فهناك معبودات كثيرة من الأصنام والقبور، فهل عبادتها لله»(١).

٦- تفسير جماعة التبليغ لمعنى (لا إله إلا الله):

وهم صوفية سواء بسواء، بين مقلٍّ ومكثر.

قالوا: الكلمة الطيبة (لا إله إلا الله) معناها: إخراج اليقين الفاسد على ذات الأشياء المحسوسة والملموسة والمرئية، وإدخال اليقين الصادق على ذات الله أنه لا خالق إلا الله، ولا رازق إلا الله، ولا محيي ولا مميت إلا الله».

وهم يلقِّنون أتباعهم هذا التعريف العجيب في كل رحلة كل يوم.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: «تفسير جماعة التبليغ ليس بصحيح؛ لأن تفسيرها على هذا الوجه لا يتحقق به إلا توحيد الربوبية فقط، إن توحيد الربوبية وحده لا يدخل الإنسان في الإسلام، فتبين بهذا أن المشركين أفهم لمعنى (لا إله إلا الله) من هذا الذي جعل معناها مجرد اليقين والإيمان بأن الله تعالى هو الخالق الرازق، وهذه مسألة عظيمة يجب على الإنسان أن يتوب إلى الله من هذا التفسير الفاسد لمعنى (لا إله إلا الله)، وأن يرجع إلى التفسير الصحيح الذي اتفق عليه المسلمون، هذا هو المعنى المتعين». اهـ(٢)

---

(١) "الأجوبة المفيدة" (ص ٣٢).

(٢) بتصرف "الصحوة الإسلامية" (ص ٢٧٩-٢٨١).

وقال الشيخ أحمد النجمي غفر الله تعالى له: «قوله: فمقصد لا إله إلا الله: إخراج اليقين الفاسد على أشياء، وإدخال اليقين الصحيح على ذات الله، إنه كلام خطير، يقرر فيه قائله وحدة الوجود، ولكن في قالب وعبارة لا تُنكر عليه، فاليقين الفاسد عند أصحاب وحدة الوجود هو التوحيد الذي جاءت به الرسل، واعتقاد أن كل ما في الكون خلق الله، ويعتبرون وحدة الوجود هو اليقين الصحيح.

لكنهم لا يبوحون بها إلا عند أمثالهم، فإذا قال أحدهم: لا إله إلا الله، فإنه يعتقد في هذه الكلمة أن لا موجود إلا الله، بمعنى أن كل الموجودات هي الله»(١).

٧- تفسير الحزبيين لمعنى (لا إله إلا الله):

فيفسِّرونها بـ(لا حاكم إلا الله)، أو (لا حاكمية إلا لله).

ومنهم من يفسِّرها: (لا خالق إلا الله)، ومنهم: (لا معبود إلا الله).

وقد سبق الرد على خطأ التفسيرين، وبقي الأول.

قال محمد قطب في كتابه "حول تطبيق الشريعة"(٢) في معنى «لا إله إلا الله»:

لا معبود إلا الله، ولا حاكم إلا الله.

وقال الزنداني في كتاب "التوحيد"(٣): إن تأدية الشهادة معناها أنك مقتنع

---

(١) "المورد العذب الزلال" (ص ٢٤٣، ٢٤٤).

(٢) (ص ٢٠).

(٣) (ص ١٢).

ومصدق بأن لهذا الكون إلهاً خلقه وأوجده ونظمه، وأنك أحد مخلوقاته.

وقال سيد قطب في "العدالة الاجتماعية"(١): لا إله إلا الله، أي: لا حاكمية إلا لله، حاكمية تتمثل في قضائه وقدره، كما تتمثل في شرعه وأمره.

وسبب تخبُّطه: عدم فهمه لكلمة (إله) وتفسيرها بغير معناها.

قال سيد: فلقد كانوا (أي: العرب) يعرفون من لغتهم معنى (إله) ومعنى (لا إله إلا الله)، كانوا يعرفون أن الألوهية تعني الحاكمية العليا.

وقال: (لا إله إلا الله) كان يدركها العربي العارف بمدلولات لغته: لا حاكمية إلا لله، ولا شرعية إلا من الله، ولا سلطان لأحد على أحد؛ لأن السلطان كله لله.(٢).

وقال: (الله) هو المستعلي المستولي المتسلط(٣).

وقال أبو الأعلى المودودي الإخواني: الإله هو الحاكم المتسلط.

وللإخوان من هذا التخبط كثير.

وقد رد عليهم الفوزان - رفع الله تعالى درجته - فقال: «أما تفسيرها بالحاكمية فتفسير قاصر لا يعطي معنى (لا إله إلا الله)»(٤).

(١) (ص ١٨٢).

(٢) "الظلال" (٢/ ١٠٠٥، ١٠٠٦).

(٣) (٦/ ٤٠١٠).

(٤) [الأجوبة المفيدة] (ص ٣٢).

وقال في "شرح كلمة التوحيد"[(١)] ردًّا على تفسير الحزبيين والإخوانيين:

«يقولون: لا إله إلا الله، أي: لا حاكمية إلا لله كما يسمونها.

ومعنى (لا إله إلا الله)؛ لأن معناها شامل لكل أنواع العبادات.

فنقول لهم: وأين بقية العبادات؟ هل العبادات هي الحاكمية فقط؟ إذا كان معناها عندهم الحاكمية فقط، وأين ما تنفيه من أنواع الشرك؟ يا سبحان الله!

ينبغي التنبه لهذه الأمور؛ لأن هذه الكلمة عظيمة هي المنجية لمن حققها، وكل الدين ينبني عليها من أوله إلى آخره، ودعوة الرسل والكتب المنزلة مبنية على هذه الكلمة.

وقال الشيخ ربيع المدخلي: «خالف سيد قطب في تفسير (لا إله إلا الله) علماء التوحيد والتفسير والفقه واللغة المعتبرين، وتابع المودودي في هذه النظرة بأن (الإله) هو (الحاكم المتسلط)، والمودودي في نظرته هذه تابع الفيلسوف الألماني هيجل».

وقال: «فقد فسر قطب (لا إله إلا الله) بالحاكمية، وفسر الحاكمية بالقدر والشرع، فأين توحيد العبادة الذي جاء به جميع الأنبياء الذي هو المعنى الحقيقي الخاص بـ(لا إله إلا الله)؟ لقد أضاعه سيد قطب»[(٢)].

---

(١) (ص ٢٢).

(٢) "أضواء إسلامية" (٥٩-٦٤).

وهؤلاء الحزبيون يرون الشرك هو في الحكم، وعليه فلا تعجب مما وقعوا فيه من الشركيات في العبادة، بل وشركيات في الحكم(١).

٨- الرافضة لا تفهم معنى (لا إله إلا الله):

أما الرافضة فهم أساس كل شر وشرك في هذه الأمة.

وما الخوارج والصوفية إلا بذرٌ من ضلالهم الواسع، فقد فسر كثير من غلاتهم (الإله) بـ(ولاية علي)، والشرك: بالشرك في الولاية.

كما نسبوا – كذبًا– إلى جعفر في تفسير ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل:٦٠]، قال: أي: إمام هدى مع إمام ضلال في قرن واحد(٢).

****

(١) انظر كتابنا: "الجهل المبين"، وكتاب "المورد الزلال" النجمي، وكتاب "حوار هادي مع إخواني" وغير ذلك.

(٢) "بحار الأنوار" (٢٣/ ٣٩١). وانظر: "أصول مذهب التشيع" (٢/ ٤٢٧-٤٣٦).

وقال ابن القيم بعد بيان مذهب أهل السنة وهو يرد على أهل البدع:

ولا يقوم لهذه الشهادة على وجهها من جميع الطوائف إلا أهل السنة، وسائر طوائف أهل البدع لا يقومون بها، فالفلاسفة أشد الناس إنكارًا وجحودًا لمضمونها، من أولها إلى آخرها، وطوائف الاتحادية: هم أبعد خلق الله عنها من كل وجه، وطائفة الجهمية تنكر حقيقتها من وجوه:

منها: أن الإله هو الذي تأله القلوب محبة له واشتياقًا إليه وإنابة وعندهم أن الله لا يُـحِب ولا يُـحَب

ومنها: أن الشهادة كلامه وخبره عما شهد به وهو عندهم لا يقول ولا يتكلم ولا يشهد ولا يخبر.

ومنها: أنها تتضمن مباينته لخلقه بذاته وصفاته، وعند فرعونيهم أنه لا يباين الخلق، وليس فوق العرش إله يعبد ولا رب يصلى له ويسجد.

وعند حلوليتهم أنه حال في كل مكان بذاته حتى في الأمكنة التي يستحي من ذكوها فهؤلاء مثبتة الجهمية وأولئك نفاتهم.

ومنها: أن قيامه بالقسط في أفعاله وأقواله وعندهم أنه لم يقم ولا يقوم به فعل ولا قول ألبتة وأن قوله مخلوق من بعض المخلوقات وفعله هو المفعول المنفصل وأما أن يكون له فعل يكون به فاعلا حقيقة فلا

ومنها: أن القسط عندهم لا حقيقة له بل كل ممكن فهو قسط وليس في مقدوره ما يكون ظلما وقسطا بل الظلم عندهم هو المحال الممتنع لذاته والقسط هو الممكن

فنزه الله سبحانه نفسه على قولهم عن المحال الممتنع لذاته الذي لا يدخل تحت القدرة .

ومنها: أن العزة هي القوة والقدرة وعندهم لا يقوم به صفة ولا له صفة وقدرة تسمى قدرة وقوة

ومنها: أن الحكمة هي الغاية التي يفعل لأجلها وتكون هي المطلوبة بالفعل ويكون وجودها أولى من عدمها وهذا عندهم ممتنع في حقه سبحانه فلا يفعل لحكمة ولا غاية بل لا غاية لفعله ولا أمره وما ثم إلا محض المشيئة المجردة عن الحكمة والتعليل

ومنها: أن الإله هو الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى وهو الذي يفعل بقدرته ومشيئته وحكمته وهو الموصوف بالصفات والأفعال المسمى بالأسماء التي قامت بها حقائقها ومعانيها وهذا لا يثبته على الحقيقة إلا أتباع الرسل وهم أهل العدل والتوحيد.

فصل: فالجهمية والمعتزلة تزعم أن ذاته لا تحب ووجهه لا يرى ولا يلتذ بالنظر إليه ولا تشتاق القلوب إليه فهم في الحقيقة منكرون الإلهية.

والقدرية تنكر دخول أفعال الملائكة والجن والإنس وسائر الحيوان تحت قدرته ومشيئته وخلقه فهم منكرون في الحقيقة لكمال عزته وملكه

والجبرية تنكر حكمته وأن يكون له في أفعاله وأوامره غاية يفعل ويأمر لأجلها فهم منكرون في الحقيقة لحكمته وحمده.

وأتباع ابن سينا والنصير الطوسي وفروخهما ينكرون أن يكون ماهية غير الوجود المطلق وأن يكون له وصف ثبوتي زائد على ماهية الوجود فهم في الحقيقة منكرون لذاته وصفاته وأفعاله لا يتحاشون من ذلك

والاتحادية أدهى وأمر فإنهم رفعوا القواعد من الأصل، وقالوا ما ثَم وجود خالق ووجود مخلوق، بل الخلق المشبه هو عين الحق المنزه كل ذلك من عين واحدة بل هو العين الواحدة

فهذه الشهادة العظيمة كل هؤلاء هم بها غير قائمين وهي متضمنة لإبطال ما هم عليه ورده كما تضمنت إبطال ما عليه المشركون ورده وهي مبطلة لقول طائفتي الشرك والتعطيل ولا يقوم بهذه الشهادة إلا أهل الإثبات الذين يثبتون لله ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات وينفون عنه مماثلة المخلوقات ويعبدونه وحده لا يشركون به شيئًا. أ.هـ (المدارج ٣/ ٣٦١).



ردود الشيخ محمد بن عبد الوهاب على من جهل معنى (لا إله إلا الله).

في رسالته: (تفسير كلمة التوحيد) مع تعليقنا عليه:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لِوَلِيِّهِ، والصلاةُ والسلامُ على نَبِيِّه.

سُئِلَ الشيخُ محمَّدٌ رَحِمَه اللهُ تعالى عن معنى لا إلهَ إلَّا اللهُ، فأَجابَ بقولِه:

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ تعالى أن هذه الكلمةَ هي الفارِقةُ بينَ الكفْرِ والإسلامِ، وهي كلمةُ التقوى، وهي العُرْوةُ الوُثْقَى، وهي التي جَعَلَها إبراهيمُ عليه السلامُ كلمةً باقيةً في عَقِبِه لعلَّهم يَرجِعون.

قوله: (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) الابتداء بالبسملة سُنَّة مجمعٌ عليها، فقد أجمع الصحابة على استفتاح القرآن بها، وكان النبي ﷺ إذا كتب بدأ بـ(بسم الله الرحمن الرحيم) كما في قصة هرقل، وصُلح الحديبية، وغيرها، ونقل ابن حجر الإجماع على ابتداء الرسائل والمصنفات بالبسملة.

* ومعناها:

(بسم الله): أستعين بالله وحده لا شريك له، والتقدير: بسم الله أكتب.

(الرحمن) ذو الرحمة الواسعة.

(الرحيم): ذو الرحمة الواصلة.

قوله: (الحمدُ لِوَلِيِّهِ) أي: لمستحقه، وهو الله تعالى.

قوله: (سُئِلَ الشيخُ محمَّدٌ...): فيه سؤال أهل العلم، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣].

قوله: (اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ): (اعلم) كلمة يؤتى بها لأجل الاهتمام بالأمر والتنبيه له. والدعاء للطالب بالرحمة و غيرها دلالة على شفقة الشيخ بالسائل والمتعلِّم؛ لأن العلم والدعوة مبناه الرحمة بين المعلم والمتعلِّم، والداعي والمدعو.

ولما سأل ابنُ مسعود النبيَّ ﷺ أن يعلِّمه القرآن، قال: «يرحمك الله، إنك غليمٌ معلم»[1].

قوله: (هي الفارِقةُ بينَ الكفْرِ والإِسلامِ).

كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "أُمرت أن أقاتل الناس، حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله..."، متفق عليه[2].

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «السلف والأئمة متفقون على أن أول ما يؤمر به العباد الشهادتان، ومتفقون على أن مَن فعل ذلك قبل البلوغ لم يؤمر بتجديد ذلك عقب البلوغ.

(١) رواه أحمد (٣٥٩٨) وصححه الشيخان: الألباني والوادعي..

(٢) (خ ٢٥) (م ٢٢).

والشهادة تتضمن الإقرار بالصانع تعالى وبرسوله، لكن مجرد المعرفة بالصانع لا يصير به الرجل مؤمناً بأن يعلم أنه - سبحانه - رب كل شيء، حتى يشهد أن لا إله إلا الله»[(١)].

وقال ابن المنذر رحمه الله تعالى: «أجمع كل من أحفظ عنه من أهل العلم على أن الكافر إذا قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأبرأ إلى الله من كل دينٍ يخالف دين الإسلام أنه مسلم...» اهـ بتصرف[(٢)].

قوله: (وهي كلمةُ التقوى):

قال تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾ [الفتح:٢٦].

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: «وكلمة التقوى هي الكلمة التي يتقى الله بها، وأعلى أنواع

هذه الكلمة: هي قول لا إله إلا الله». اهـ[(٣)].

قال الشيخ الفوزان - غفر الله تعالى له -: «وتُسمَّى كلمة التقوى؛ لأنها تَقِي من قالها مخلصاً لله عز وجل تقيه من النار، ولأنها تقتضي أعمال البر؛ لأن التقوى هي

---

(١) "درء التعارض" (٨/ ١١).

(٢) "الإجماع" (ص ١٧٥).

(٣) "بدائع التفسير" (٤/ ١٠٠).

أعمال البر والطاعات، وهذه الكلمة تقتضي كل أعمال البر، فهي كلمة التقوى»[١].

فهي تَقِي العبد في الدنيا من الشرك، وفي الآخرة من النار إذا قالها مخلصاً، وعمل بمعناها ومقتضاها.

قوله: (وهي العُرْوةُ الوُثْقَى):

قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة:٢٥٦]، فُسِّرت بـ(لا إله إلا الله).

والعروة: المقبضُ القوي، من تمسك به نجا، وهذه الكلمة مَنْ تمسك بها ومات عليها عالماً بمعناها عاملاً بمقتضاها فقد نجا في الدنيا والآخرة.

قوله: (وهي التي جَعَلَها إبراهيمُ عليه السلامُ كلمةً باقيةً في عَقِبِه لعلَّهم يَرجِعون):

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف:٢٦-٢٨].

---

(١) من "شرح كلمة التوحيد" (ص ٦).

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «أي: جعل هذه الموالاة والبراءة من كل معبودٍ سواه كلمة باقية في عقبه يتوارثها الأنبياء وأتباعهم عن بعض، وهي كلمة لا إله إلا الله. وهي التي ورَّثها إمام الحنفاء لأتباعه إلى يوم القيامة»(١).

فقوله: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ﴾ هذا معنى النفي (لا إله)، ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ هذا معنى الإثبات: (إلا الله).

****

(١) "بدائع التفسير" (١٣٣).

وليس المرادُ قولَها باللسانِ مع الجهْلِ بمعناها، فإنَّ المنافقين يَقولونها وهم تحتَ الكفَّارِ في الدَّرْكِ الأسفلِ من النارِ، مع كونهم يُصَلُّون ويَتَصَدَّقون، ولكنَّ المرادَ قولُها مع معرفتِها بالقلْبِ، ومحبَّتِها ومَحَبَّةِ أهلِها وبُغضِ مَن خالَفَها ومعاداتِه، كما قالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصًا» وفي روايةٍ: «خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ»، وفي روايةٍ: «صَادِقًا مِنْ قَلْبِهِ»، وفي حديثٍ آخَرَ: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ» إلى غيرِ ذلك من الأحاديثِ الدالَّةِ على جَهالةِ أكثرِ الناسِ بهذه الشَّهادةِ.

قوله: (وليس المراد قولها باللسان مع الجهل بمعناها): بل الواجب العلم بمعناها والعمل به.

قال الشيخ سليمان آل الشيخ رحمه الله تعالى: «مَنْ قال هذه الكلمة عارفاً لمعناها، عاملاً بمقتضاها من نفي الشرك، وإثبات الوحدانية لله، مع الاعتقاد الجازم لما تضمنته من ذلك، فهذا هو المسلم حقًّا»(١).

وقال بعض العلماء «واعلم أن (لا إله إلا الله) هي الكلمة الفارقة بين الكفر والإسلام، وليس المراد قولها باللسان فقط مع الجهل بمعناها، ولكن المرد قولها مع معرفتها بالقلب، والإذعان لها».

وقال الونشريسي من علماء فاس في "المعيار المعرب": «مَن نشأ بين أظهر

---

(١) "التيسير" (ص ٥٧).

المسلمين وهو ينطق بكلمة التوحيد إلا أنه لا يعرف المعنى الذي انطوت عليه الكلمة الكريمة، لا يُضرب له في التوحيد بسهم، ولا يُنسب إلى إيمان ولا إسلام، بل هو من جملة الهالكين». اهـ

قال تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد:١٩]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [الزخرف:٨٦]، ﴿وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ [إبراهيم:٥٢].

فالجهل بمعناها خطره عظيم، فإذا ضَمَّ إلى الجهل تفسيرها بغير الحق الذي دلت عليه، فذلك أدهى وأمرُّ، نعوذ بالله تعالى أن نكون من الجاهلين.

قوله: (فإنَّ المنافقين يَقولونها...) إلى قوله: (ويَتَصَدَّقون): المراد بهم أصحاب النفاق الاعتقادي الذين يُظهرون الإسلام، ويُبطنون الكفر الأكبر.

وإنما أظهروا النطق بالإسلام والشهادة خوفاً على دمائهم وأموالهم، لا حبًّا للإسلام، ورغبة فيه، فلم ينفعهم النطق بالشهادة؛ لأنهم لم يوقنوا بها، ولم تخلص قلوبهم، ففيه دليل على تلازم الظاهر والباطن.

قال العلامة سليمان آل الشيخ رحمه الله تعالى: «وأما النُّطق بها من غير معرفة لمعناها، ولا عمل بمقتضاها، فإن ذلك غير نافع بالإجماع»(١).

قوله: (ولكنَّ المرادَ قولُها مع معرفتِها بالقلْبِ): وذلك شامل للإخلاص، واليقين، والصدق، ونفي الشك والشرك والكذب ... كما سيأتي في الأدلة.

---

(١) "التيسير" (ص ٥٢).

قال ابن رجب رحمه الله تعالى: «واليقين هو العلم الحاصل للقلب...»[١].

قوله: (ومحبَّتِها...) إلى قوله: (ومعاداتِه):

قال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الفتح:٢٩]، ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة:٥٤].

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «فإن تحقيق الشهادة بالتوحيد يقتضي ألَّا يحب إلا الله، ولا يبغض إلا لله، ولا يوالي إلا لله، ولا يعادي إلا لله، وأن يحب ما يحبُّه الله، ويبغض ما يُبغضه الله»[٢].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «المحبة هي حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله»[٣].

فحبُّ التوحيد وأهله، وبغض الشرك وأهله ومعاداتهم أصل التوحيد الذي مَنْ فقده لم يكن من الموحِّدين.

قوله: [(مخلصاً)، وفي رواية: (صادقاً) في الأحاديث].

الإخلاص: إفراد الله تعالى بالقصد والعمل، لا يشرك به شيئاً.

وهو: إفراد الله تعالى بالعبادة، وهو التوحيد.

---

(١) "شرح البخاري" (١/ ١٤).

(٢) "الفتاوى" (٨/ ٣٣٧).

(٣) "المدارج".

وإنما سُمِّيت: كلمة التوحيد وكلمة الإخلاص؛ لأنها تنفي الشرك بالله تعالى، وتثبت العبادة لله تعالى وحده خالصةً له سبحانه.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة:٥]، ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ ٣﴾ [الزمر:٢-٣].

قال البربهاري رحمه الله تعالى: «شهادة أن لا إله إلا الله لا تُقبل من صاحبها إلا بصدق النية وخالص اليقين».

وقال السمعاني رحمه الله تعالى: «وإخلاص التوحيد ألا تشرك به شيئاً».

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «الشهادة لله بأنَّه لا إله إلا الله تتضمن إخلاص الألوهية له، فلا يجوز أن يتأله القلب غيره»(١).

وأما الصدق: فهو ضد الكذب، وهو: موافقة القول للنية والعمل، واتفاق الظاهر مع الباطن، بأن يعتقد بقلبه، ويعمل بجوارحه ما تقتضيه كلمة التوحيد التي قالها بلسانه.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥﴾ [الحجرات:١٥].

وقال المروزي رحمه الله تعالى: «والشاهد بـ(لا إله إلا الله) هو المصدق المقر بقلبه».

قال الحافظ في قوله: (صادقاً): «احترازاً من شهادة المنافق».

---

(١) "الاقتضاء" (٢/ ٨٣٤).

قال ابن رجب رحمه الله تعالى: «من صدق في قول (لا إله إلا الله) لم يحب سواه، ولم يرجُ سواه، ولم يخشَ أحداً إلا الله، ولم يتوكل إلا على الله».

قوله: (وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ):

هذا شرط لابد منه، وهو أحد ركني الشهادة، كما سيأتي أن هناك من يقوله ويؤمن بالطاغوت، أو يعبد غير الله تعالى: كحال عُبَّاد الأنبياء والقبور، ونحوهم.

قوله: (جَهالةِ أكثرِ الناسِ بهذه الشَّهادةِ):

سيأتي في آخر الشرح بيان تفسير أهل البدع لهذه الكلمة، وستعجب من جهلهم ومخالفتهم لها.

****

فاعلَمْ أن هذه الكلمةَ نَفْيٌ وإثباتٌ؛ نَفْيُ الإلهيَّةِ عمَّا سِوى الله سبحانَه تعالى من المُرْسَلين حتى مُحَمَّدٍ ﷺ، ومن الملائكةِ حتى جبريلَ، فَضْلًا عن غيرِهما من الأنبياءِ والصالحين.

إذا فَهِمْتَ ذلك فتأَمَّل الألوهيَّةَ التي أَثْبَتَها اللهُ تعالى لنفسِه ونفاها عن مُحَمَّدٍ ﷺ وجبريلَ وغيرِهما أن يكونَ لهم منها مِثقالُ حَبَّةٍ من خَرْدَلٍ. فاعلَمْ أن هذه الألوهيَّةَ هي التي تُسَمِّيها العامَّةُ في زمانِنا السِرَّ والولايةَ. والإلهُ معناه الوليُّ الذي فيه السِّرُّ، وهو الذي يُسمُّونَه: الفقيرَ والشيخَ، وتُسَمِّيه العامَّةُ: السيِّدَ، وأَشباهَ هذا.

وذلك أنهم يَظُنُّون أنَّ اللهَ جَعَلَ لِخَواصِّ الخَلْقِ منزلةً، يَرْضَى أن يَلْتَجِئَ الإنسانُ إليهم، ويَرْجُوَهم، ويَسْتَغِيثَ بهم، ويَجْعَلَهم واسِطةً بينَه وبينَ اللهِ.

قوله: (فاعلَمْ أن هذه الكلمةَ نَفْيٌ وإثباتٌ...) إلى (وَإِثْبَاتُها لله):

فالنفي في (لا إله) تنفي استحقاق العبادة عن جميع الآلهة غير الله تعالى، فإنها لا تستحق العبادة، وإن عبدت فذلك باطل غير نافع، بل عابدها مشركٌ خالد في النار.

والإثبات في (إلا الله) إثبات استحقاق الله تعالى لأَنْ يُعبد؛ لأنه الرب، الخالق المدبر، المنعم، الكامل في أسمائه وصفاته وأفعاله، لا معبود بحق سواه.

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج:٦٢].

وهذا هو الإخلاص لله تعالى.

فالله تعالى لا يرضى أن يعبد معه مَلَك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا صالح ولا غيرهم، وسيأتي تفصيله عن قريب.

قوله: (إذا فَهِمْتَ ذلك فتَأَمَّل ...) إلى قوله: (حَبَّةٍ من خَرْدَلٍ):

أي: إذا فهمت ما سبق من إفراد الله تعالى بالإلهية ونفيها عمن سواه، فتأمل وتفهَّم معنى الألوهية التي أثبتها الله تعالى لنفسه ونفاها عن غيره، وهي إخلاص العبادة له وحده.

فإذا صرف العبد شيئاً من العبادة لغيره؛ فقد أشرك فيما خص الله تعالى به نفسه، وهي الألوهية.

قوله: (فاعلَمْ أن هذه الألوهيَّةَ هي التي تُسَمِّيها العامَّةُ...) إلى قوله: (الفقيرَ والشيخَ، وتُسَمِّيه العامَّةُ: السيِّدَ، وأَشباهَ هذا):

كثير من الجهلة الذين لم يتربوا على التوحيد، صرفوا الألوهية (وهي العبادة) لغير الله تعالى، وسموها بغير اسمها، وظنوا أن ذلك ليس من الشرك، وهو الشرك بعينه، فمن أسمائهم عندهم:

- (السِّر)، ومعناه: أن هذا الذي صرفت له العبادة فيه سر وأمور خفية، يقدر على دفع الضر وجلب النفع وإنزال ضرر.

- (الولاية)، ومعناه: أن هذا الذي يدعونه ويرجونه له ولاية عند الله تعالى ومنزلة يقدر بها على دفع الضر وجلب النفع.

- (الولي)، وهو عندهم من اتصف بما سبق، فلهذا صرفوا له العبادة من دعاء

وذبح ونذر...

- (الفقير)، اشتهر عن الصوفية التسمي بالفقراء والفقير ونحو ذلك، فالفقير: هو الصوفي الخرافي.

- (الشيخ)، وهذا كسابقه اشتهر عن بعض الصوفية، أن يسموا كبارهم بالشيخ، كالشيخ ابن عربي والشيخ البدوي، وغيرهما من مشايخ الخرافة والطرق.

- (السيد): وهذا مما اشتهر عنهم وعن الشيعة أيضاً، ومن أسمائهم أيضاً: السادن، المشرع، الفقيه ... الخ.

ويسمون الأوثان: المشهد، القبة، الزاوية، الولي ...

ولا فرق بين أن يُسمِّي معبودَه صنماً أو مشهداً.

قال الصنعاني رحمه الله تعالى: «... والنذر للميت ونحوه، والنحر على القبر، والتوسل، وطلب الحاجات منه بعينه الذي كانت تفعله الجاهلية، وإنما كانوا يفعلونه لما يسمونه صنماً ووثناً، وفعله القبوريون لما يُسمُّونه وليًّا وقبراً ومشهداً، والأسماء لا أثر لها، ولا تغير المعاني ... فتسمية القبر مشهداً ومَن يعتقدون فيه وليًّا، لا تخرجه عن اسم الصنم والوثن، إذ هم معاملون لها معاملة المشركين للأصنام، ويهتفون بأسمائهم عند الشدائد ونحوها»(١).

---

(١) "تطهير الاعتقاد" (٦١، ٦٢) بتصرف.

قوله: (وذلك أنهم ظَنُّوا أنَّ اللهَ جَعَلَ لِخَواصِّ الخُلْقِ...) إلى: (بينَه وبينَ اللهِ):

خواص الخلق: الصالحون، وذلك أن القبورية تقسم الناس إلى عامة وخاصة، وخاصة الخاصة، ثم ينسبون إلى هؤلاء الخاصة: الولاية، والسر.

ويطلبون منهم الشفاعة في جلب النفع ودفع الضر، ويرون أن للأولياء قدرة على ذلك، ولا يصل الشخص إلى مراده منهم إلا بصرف شيء من العبادة لهم، وهذا هو صنيع المشركين، ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر:٣]، ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس:١٨] الآية.



فالذي يَزعُمُ أهلُ الشرْكِ في زمانِنا أنهم وَسائطُهم الذين يُسمِّيهم الأوَّلون: الآلهةَ، والواسطةُ هو الإلهُ، فقَوْلُ الرجُلِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) إبطالٌ للوسائطِ.

فإذا أرَدْتَ أن تَعرِفَ هذا معرفةً تامَّةً فذلك بأمرين:

الأوَّلُ: أن تَعرِفَ أن الكفَّارَ الذين قاتَلَهم رَسُولُ اللهِ ﷺ وقتَلَهم، وأَباحَ أموالَهم، واستَحَلَّ نساءَهم، كانوا مُقِرِّينَ للهِ سبحانَه بتوحيدِ الربوبيَّةِ، وهو أنه لا يَخْلُقُ، ولا يَرزُقُ، ولا يُحْيِي، ولا يُميتُ، ولا يُدَبِّرُ الأمورَ إلا اللهُ وحدَه، كما قالَ تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس:٣١]. وهذه مسألةٌ عظيمةٌ مُهمَّةٌ، وهي أن تَعرِفَ أن الكفَّارَ شاهدون بهذا كلِّه ومُقِرُّون به، ومع هذا لم يُدْخِلْهم ذلك في الإسلامِ، ولم يُحَرِّمْ دماءَهم ولا أموالَهم، وكانوا أيضًا يَتَصَدَّقُون، وَيَحُجُّون، ويَعْتَمِرون، ويَتعبَّدُون، ويَتْرُكون أشياءَ من المحَرَّماتِ خَوْفًا من اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

قوله: (فالذين يَزعُمُ أهلُ الشرْكِ...) إلى: (... إبطالٌ للوسائطِ):

كان المشركون القدامى صريحين في تسمية معبوداتهم آلهة: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٥]، ﴿وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ﴾ [ص:٦].

أما هؤلاء القبورية فمن أجل المكر بالمسلمين سموها: (أولياء، وسائط)، ثم عبدوها. وسموا العبادة: (تعظيم للأولياء، طلب الشفاعة).

وهذا هو الشرك القديم، بل وشرٌّ منه.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعونهم، ويتوكل عليهم، ويسألهم جلب النفع ودفع المضار، مثل أن يسألهم غفران الذنوب، وهداية القلوب، وتفريج الكربات، وسد الفاقات، فهو كافر بإجماع المسلمين»[(١)].

قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ٥٦﴾ [الإسراء:٥٦]، ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١١٧﴾ [المؤمنون:١١٧].

قوله: (فقَوْلُ الرجُلِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) إبطالٌ للوسائطِ):

لأن هذه الكلمة تقتضي الإخلاص لله في عبادته، وتنفي الواسطة الشركية التي يعبدونها، ﴿وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ [لقمان:٣٠].

قوله: (وَإِذا أَرَدْتَ أن تَعرِفَ هذا معرفةً تامَّةً ...) إلى: (... خَوْفًا من اللهِ عَزَّ وَجَلَّ):

كان المشركون يقرون بتوحيد الربوبية في الجملة، وقد ذكر المؤلف الدليل.

وكان يصلون ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمۡ عِندَ ٱلۡبَيۡتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصۡدِيَةً﴾ [الأنفال:٣٥].

وكانوا يتصدقون لله تعالى، فقد أعتق حكيم بن حزام قبل إسلامه مئة نفس.

(١) "الفتاوى" (١/ ١٢٤).

وكانوا يحجُّون، ويعتمرون، ويقفون بالمزدلفة، وكان العرب يقفون بعرفة، وهذا مشهور.

فكانوا يعبدون الله تعالى، وإنما أنكروا إخلاص العبادة لله وحده، ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [ص:٥]، هذا هو الذي أنكروه.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «أما الرب سبحانه فهو معروف بالفطرة، ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ [إبراهيم:١٠]، فالمشركون من عُبَّاد الأصنام، وغيرهم من أهل الكتاب، معترفون بالله، مُقرُّون به أنه ربُّهم وخالقهم ورازقهم، وأنه رب السماوات والأرض والشمس والقمر، وأنه المقصود الأعظم»(١).

وقال "الفتاوى(٢)" «الرسل افتتحوا دعوتهم بالأمر بعبادة الله وحده دون ما سواه، كما أخبر الله عن نوح وهود وصالح وشعيب، وقومهم كانوا مقرِّين بالخلق، لكن كانوا مشركين يعبدون غيره، كما كانت العرب الذين بعث فيهم محمد ﷺ». اهـ

❊❊❊❊

---

(١) "الرسائل الكبرى" (٢/ ٣٣٧).

(٢) (١٦/ ٣٣١).

ولكنَّ الأمرَ الثاني هو الذي كفَّرَهم وأحَلَّ دماءَهم وأموالَهم، وهو: أنهم لم يَشْهَدوا للهِ بتوحيدِ الألوهيَّةِ، وَهُو أن لا يُدْعَى ولا يُرْجَى إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، ولا يُسْتَغاثَ بغيرِه، ولا يُذْبَحَ لغيرِه، ولا يُنذَرَ لغيرِه لا لِمَلَكٍ مقرَّبٍ، ولا نَبيٍّ مُرْسَلٍ، فمَن استغاثَ بغيرِه فقد كَفَرَ، ومن ذَبَحَ لغيرِه فقد كَفَرَ، ومَن نَذَرَ لغيرِه فقد كَفَرَ، وأشباهُ ذلك.

قوله: (ولكنَّ الأمرَ الثاني...) إلى: (... لم يَشْهَدوا لله بتوحيدِ الألوهيَّةِ):

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الصافات:٣٥].

وقال تعالى عن قوم هود: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾ [الأعراف:٧٠].

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «ومن المعلوم أن التوحيد الذي بعث الله تعالى به رسوله، وأنزل به كتابه، هو ما دل عليه الكتاب والسنة والإجماع مثل عبادة الله وحده لا شريك له، فمن عبد غيره كان مشركاً، ولم يكن موحِّداً، وإن أقر أنه خلق كل شيء»[(١)].

قوله: (وَتوحيدُ الألوهيَّةِ، وَهُو أن لا يُدْعَى ...) إلى: (... ومَن نَذَرَ لغيرِه فقد كَفَرَ، وأشباهُ ذلك):

توحيد الألوهية: هو إفراد الله تعالى بالعبادة من دعاء واستغاثة وذبح ونذر

---

(١) "نقض التأسيس".

وصلاة، وكل ما أمر الله تعالى به فهو عبادة، وما ثبت أنه عبادة فصرفه لغير الله شرك أكبر، ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء:٣٦]، ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨]، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

فمن قال: لا إله إلا الله، وصرف العبادة لغير الله سبحانه، فهو مشرك، وشِرْكُه ناقض لقوله، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٨٨].

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «ومن الشرك أن يدعو غير الله؛ كمن يستغيث في المخاوف والأمراض والفاقات بالأموات والغائبين، فإن هذا من الشرك الذي حرَّمه الله ورسوله باتفاق المسلمين»(١).

وقال العلامة سليمان آل الشيخ رحمه الله تعالى: «اعلم أن العلماء أجمعوا على أن من صرف شيئاً من نوعي الدعاء لغير الله فهو مشرك ولو قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله وصلى وصام، إذ شرط الإسلام مع التلفظ بالشهادتين ألا يعبد إلا الله، فمن أتى بالشهادتين وعبد غير الله فما أتى بهما حقيقة وإن تلفظ بهما؛ كاليهود الذين يقولون: لا إله إلا الله، وهم مشركون، ومجرد التلفظ بهما لا يكفي في الإسلام بدون العمل بمعناهما، واعتقاده إجماعاً»(٢).

---

(١) "الفتاوى" (١١/ ٦٤٤).

(٢) "التيسير" (ص ١٨١).

وتَمامُ هذا أن تَعْرِفَ أن المشركين الذين قاتَلَهم رَسُولُ اللهِ ﷺ كانوا يَدْعُون الصالحين؛ مِثْلَ الملائكةِ، وعيسى، وعُزَيْرٍ، وغيرِهم من الأولياءِ، فكَفَروا بهذا مع إقرارِهم بأنَّ اللهَ سبحانَه هو الخالقُ الرازقُ المدبِّرُ.

وإذا عرَفْتَ هذا عَرَفْتَ معنى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) وعرَفْتَ أن مَن نَخَا نبيًّا، أو مَلَكًا، أو نَدَبَه، أو استغاثَ به؛ فقد خَرَجَ من الإسلامِ، وهذا هو الكفْرُ الذي قاتَلَهم عليه رَسُولُ اللهِ ﷺ.

قوله: (وتَمامُ هذا أن تَعْرِفَ...) إلى: (... هو الخالقُ الرازقُ المدبِّرُ):

هذا ردٌّ على من قصر الشرك في عبادة الأصنام؛ كالقبورية الذين يقولون: (الشرك عبادة الأصنام، ونحن لا نعبدها).

فالرد عليهم: أن صرف العبادة لغير الله سبحانه شرك؛ سواء كانت لصنم رجل صالح كما فعل قوم نوح، أم كانت لقبر رجل صالح كما يفعل النصارى والقبورية، أما كانت لنبي كحال اليهود والنصارى، أو لشجر أو حجر أو غيرهم.

وقد شرح المؤلف هذه الجملة في القواعد الأربع وكشف الشبهات.

قال في "القواعد": النبي ﷺ ظهر على أناس متفرقين في عباداتهم ... وقاتلهم رسول الله ﷺ ولم يفرق بينهم ... إلخ، ثم ذكر الأدلة.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «والإله هو المستحق للعبادة، فأما من اعتقد في الله أنه رب كل شيء وخالقه، وهو مع هذا يعبد غيره فإنه مشرك بربه، متخذ من

دونه إلهاً آخر»[١].

قوله: (إذا عرَفْتَ هذا عَرَفْتَ معنى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)...) إلى: (الذي قاتَلَهم عليه رَسُولُ الله ﷺ):

نخّا: لغة نجدية معناها: استنجد، ندبه: الاستغاثة في المصائب.

فمن استغاث بغير الله تعالى، أو دعاه فيما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه؛ فقد صرف له هذه العبادة، وصَرْف العبادة لغير الله سبحانه شركٌ بالإجماع.

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾[النمل:٦٢]، فمعنى هذه الكلمة: (لا إله إلا الله): لا معبود بحق إلا الله، فيا عجباً ممن يقولها وهو يشرك بالله سبحانه ليلاً ونهاراً.

****

(١) "الفتاوى" (٦/ ٥٦٦).

فإنْ قالَ قائلٌ من المشركين: نحن نعرِفُ أنَّ اللهَ هو الخالقُ الرازقُ المدبِّرُ يمكِّنُ هؤلاءِ الصالحون أَنْ يكُونُوا مُقَرَّبِين ونَحْنُ نَدْعُوهُمْ ونَنْذِرُ لهم ونَدخُلُ عليهم ونَستغيثُ بهم، ونُريدُ بذلك الوَجاهةَ والشفاعةَ، وإلا نحن نَفهَمُ أنَّ اللهَ هو الخالقُ الرازقُ المدبِّرُ.

فقُلْ: كلامُك هذا مذْهَبُ أبي جهْلٍ وأمثالِه، فإنهم يَدْعُون عِيسى وعُزَيْرًا والملائكةَ والأولياءَ يُريدون ذلك، كما قالَ تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر:٣]، وقالَ تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس:١٨].

فإذا تأمَّلْتَ هذا تأمُّلًا جيِّدًا، وعرَفْتَ أن الكفَّارَ يَشْهَدون لله بتوحيدِ الربوبيَّةِ - وهو تفرُّدُه بالخلْقِ والرزقِ والتدبيرِ - وهم يَنْخُونَ عيسى والملائكةَ والأولياءَ، يَقصِدون أنهم يُقرِّبونَهم إلى اللهِ ويَشفعون عندَه.

وعرَفْتَ أنَّ من الكفَّارِ - خصوصًا النَّصارى منهم - من يَعْبُدُ اللهَ الليلَ والنهارَ ويَزْهَدُ في الدنيا ويَتصدَّقُ بما دَخَلَ عليه منها، مُعْتَزِلٌ في صَوْمَعَةٍ عن الناسِ، وهو مع هذا كافِرٌ عدُوٌّ لله ... مُخَلَّدٌ في النارِ بسببِ اعتقادِه في عيسى، أو غيرِه من الأولياءِ، يَدعوه، أو يَذبحُ له، أو يَنذِرُ له؛ تَبَيَّنَ لك كيفَ صفةُ الإسلامِ الذي دعا إليه نبيُّك مُحَمَّدٌ ﷺ، وتَبَيَّنَ لك أنَّ كثيرًا من الناسِ عنه بمَعْزِلٍ، وتَبَيَّنَ لك معنى

قوله ﷺ: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ».

قوله: (فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ مِنَ الْمُشْرِكِين...) إلى: (أبي جهل وأمثاله):

هذه إحدى شبه القوم، أنهم يرون أن طلب الشفاعة حُجَّة كافية لجواز عبادة غير الله تعالى، وهي حجة المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ، فما نفعهم في الدنيا ولا في الآخرة، ولن تنفع هؤلاء.

قوله: (فإنهم يَدْعُون عِيسى ...) إلى: (...أو يَذبحُ له، أو يَنذِرُ له):

وهذا ردٌّ على مَن قصر الشرك على عبادة الأصنام والكواكب ... فإن النصارى عبدوا عيسى عليه السلام والصالحين، وكذا غيرهم من عباد الصالحين والملائكة.

قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة:١٧].

وهذا من جنس شرك عباد الأصنام، ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [التوبة:٣٠] إلى قوله: ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣١].

وعُبَّاد القبور هم امتداد لعباد الأصنام وعباد الملائكة وغيرهم، إذ الجامع بينهم واحد، وهو: صرف العبادة لغير الله تعالى، فالشرك ملة واحدة، وهو يحبط العمل كله، ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ [الزمر:٦٥]، ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ ﴾ [الغاشية:٢-٤].

وقد فسرت بكثرة العمل مع الشرك؛ كحال عُبَّاد النصارى.

قوله: (تَبَيَّنَ لك كيفَ صفةُ الإسلامِ...) إلى: (... وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ):

صفة الإسلام: الاستسلام لله بالتوحيد والطاعة، والبراءة من الشرك والبدعة.

فالتوحيد والسنة هما الإسلام، فمن أخلَّ بالتوحيد لم يكن مسلماً، ومن أخل بالسنة لم يكن إسلامه على الوصف الذي جاء به نبينا ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩]، ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة:٣]، ﴿وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَ﴾ [الزمر:٧]، ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء:٣٦]، ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [الأعراف:٣].

هذا هو الإسلام الصافي الكامل النقي من الشرك والبدع، وكل مَن لابس الشرك الأكبر كعباد القبور وغيرهم، فالإسلام بريء منه، وادعاؤه الإسلام غير مقبول، ومَنْ لابس الشرك الأصغر والبدع فقد نقص إسلامه بقدر ذلك؛ كأهل البدع.

فالمسلم الموحد السني غريب بين المسلمين أشد الغربة، ومحارب من كثير منهم؛ لأنه ينهاهم عن مخالفة الإسلام والسنة، وصار يُقال – تنفيرًا – لمن دعا إلى الإسلام الصافي: متشدد، وهَّابي، منفِّر، أصولي ... إلخ، فهؤلاء هم الغرباء.

فالله الله أيها السني، ويا دعاة التوحيد والسنة في الثبات، فإنكم حَمَلة الإسلام وحماته – بإذن الله تعالى – وأهله وأنصاره.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «فهذه الشهادة العظيمة مبطلة لقول طائفتي الشرك والتعطيل، ولا يقوم بهذه الشهادة إلا أهل الإثبات الذين يثبتون لله ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات، وينفون عنه مماثلة المخلوق، ويعبدونه وحده لا شريك له»[(١)].

وقال[(٢)]: «فتضمنت هذه الشهادة: الدلالة على وحدانيته المنافية للشرك، وعدله المنافي للظلم، وعزته المنافية للعجز، وحكمته المنافية للجهل والعيب، ففيها الشهادة له بالتوحيد والعدل والقدرة والعلم والحكمة، ولهذا كانت أعظم شهادة، ولا يقوم بهذه الشهادة على وجهها من جميع الطوائف إلا أهل السنة، وسائر طوائف أهل البدع لا يقومون بها». اهـ

قال الشيخ حمود التويجري رحمه الله تعالى: «فأهل الإسلام غرباء في الناس، وأهل الإيمان غرباء في المسلمين، وأهل الكتاب والسنة غرباء في المؤمنين».

وقال: «وأما الغرباء فهم أهل السنة والجماعة، وهم الطائفة المنصورة والفرقة الناجية من ثلاث وسبعين فرقة كلها تنتسب إلى الإسلام، ووراء ذلك الأدعياء الذين ينتسبون إلى الإسلام، ويدعونه وهم عنه بمعزل، فمنهم فئام قد لحقوا بالمشركين، وفئام يعبدون الأوثان، وفئام من المعطلة الجهمية، وأفراخ القرامطة

---

(١) "المدارج" (٣/ ٤٦٢).

(٢) (ص ٤٦٠).

والباطنية والحلولية والاتحادية وغلاة الصوفية والروافض، فهؤلاء أدعياء الإسلام، وما أكثرهم! لا كثَّرهم الله»[(١)].

وكتاب الشيخ التويجري أشبه بشرح لهذه الجملة التي ذكرها المؤلف.

❊❊❊❊

(١) "غربة الإسلام" (١/ ١٢٥، ١٢٦).

فاللهَ اللهَ يا إخواني، تَمَسَّكوا بأصْلِ دينِكم، وأوَّلِه وآخِرِه، وأُسُّهُ ورأسُهُ: (شهادةُ أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، واعْرِفوا معناها، وأَحِبُّوها، وأَحِبُّوا أهلَها، واجْعَلُوهم إخوانَكم ولو كانوا بعيدين، واكْفُروا بالطواغيتِ، وعادُوهم، وأَبْغِضُوهم، وأَبْغِضُوا مَن أَحَبَّهم أو جَادلَ عنهم أو لم يُكَفِّرْهم أو قالَ: ما عليَّ منهم، أو قالَ: ما كَلَّفَني اللهُ بهم. فقد كَذَبَ هذا على اللهِ وافْتَرَى، فقد كَلَّفه اللهُ تعالى بهم وافْتَرَضَ عليه الكفرَ بهم والبراءةَ منهم، ولو كانوا إخوانَهم وأولادَهم.

فاللهَ اللهَ يا إخواني تَمَسَّكُوا بذلك لعلَّكم تَلْقَوْنَ ربَّكُم وأنتم لا تُشْرِكون به شيئًا.

اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مسلمين وأَلْحِقْنا بالصالحين.

قوله: (فاللهَ اللهَ يا إخواني...) إلى: (اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مسلمين وأَلْحِقْنا بالصالحين):

هذه وصية عالم مشفق رحمه الله تعالى، فاقبلها أيها السني واعمل بها.

(أصل دينكم): الذي لا يصح الدين إلا به، وهو التوحيد.

(وأوله): أول ما يدخل في الإسلام وهي الشهادة، وهي آخر ما تطلب عند الموت: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله»، رواه مسلم[(١)] عن أبي سعيد ﵁.

قوله: (وأُسُّهُ) أي: أساسه. (ورأسه): أهم ما فيه، وأرفع شعبة وأعلاها: (شهادة أن لا إله إلا الله)، وفهم معناها والعمل بمقتضاها.

قوله: (أَحِبُّوها، وأَحِبُّوا أهلَها): ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]،

---

(١) (٩١٦).

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة:٧١].

والولاء: المحبة النصرة، والحب لله من أوثق عُرَى الإيمان.

قوله: (واجْعَلُوهم إخوانكم وَلَو كَانُوا بَعِيْدِيْن):

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات:١٠]، فيا أهل التوحيد والسنة، كونوا عباد الله إخواناً، متحابين، متواصلين، متناصرين، وإن بلغك عن عبد موحد سني بالمشرق أو المغرب فابعث إليه برسالة تحرضه على الثبات على التوحيد والسنة والدعوة إليهما، فإن لم تقدر فادع له بظهر الغيب ... ما أقلَّ أهل السنة!

اللهم كن لأهل التوحيد والسنة معيناً وناصراً ومؤيداً، ووفق جميع المسلمين للرجوع إلى كتابك وسنة نبيك ﷺ، وأعزهم بطاعتك، ولا تذلهم بمعصيتك.

قوله: (واكْفُروا بالطواغيتِ):

الطاغوت: ما تجاوز به العبد حدَّه، فإن كان راضياً بذلك فهو طاغوت، وإن لم يكن راضياً فعبادته طاغوتية دون المعبود الذي لا يرضى بها.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦].

قال الشيخ في رسالته "معنى الطاغوت": «والطاغوت عامٌّ، فكل ما عُبِد من دون الله ورضي بالعبادة من معبود أو متبوع أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله فهو طاغوت».

وقال: «فأما صفة الكفر بالطاغوت: فهو أن تعتقد بطلان عبادة غير الله، وتتركها وتبغضها، وتكفر أهلها وتعاديهم». اهـ المراد.

قوله: (وأَبْغِضُوا مَن أَحَبَّهم): ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة:٥١].

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة:٢٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة:١].

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «إن الإيمان بالله وبالنبي ﷺ وما أُنزل إليه يقتضي عدم ولاية الكفار، فثبوت موالاتهم يوجب عدم الإيمان»[١].

قوله: (أو جَادَلَ عنهم) فالجدال دليل المحبة والرضا، ﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ [النساء:١٠٧].

قوله: (أو لم يُكَفِّرْهم): من كان كفره واضحاً فيجب تكفيره؛ كاليهود والنصارى والكفرة، وفي هؤلاء تصح قاعدة: (مَن لم يكفر الكافر فهو كافر).

أما من اشتبه كفره فلا تصح القاعدة في حقه.

قوله: (أو قالَ: ما عليَّ منهم):

الولاء والبراء من أعظم واجبات الدين، وبغض أعداء الدين ومعاداتهم -

(١) "شروط لا إله إلا الله" (ص ٢٥٥).

بالضوابط الشرعية - واجب على كل مؤمن بقدر استطاعته.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[التوبة:٧٣]، وقد وصف الله تعالى المؤمنين بقوله: ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة:٥٤]، ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ [الفتح:٢٩]، وأمرهم بقوله: ﴿وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة:١٢٣].

فهذا الذي يقول: ما كلفني الله بهم، ضال أجهل من حمار أهله، كيف وقد قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ﴾ [المجادلة:٢٢]، الآية وأشباهها.

قوله: (فاللهَ اللهَ يا إخواني...):

المؤمن يجاهد نفسه، ويخاف من سوء الخاتمة التي أسوأها الموت على الشرك، كما أن الحذر من الشرك والخوف منه والبعد عنه وعن أهله من أسباب الموت على التوحيد.

❊❊❊❊

ولْنَخْتِم الكلامَ بآيةٍ ذَكَرَها اللهُ تعالى في كتابِه تُبَيِّنُ لك أن كُفْرَ المشركين من أهْلِ زمانِنا أعْظَمُ من كفرِ الذين قاتَلَهم رَسُولُ الله ﷺ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ٦٧﴾ [الإسراء:٦٧].

فقد سَمِعْتُم أَنَّ الله سُبحانه ذَكَرَ عَنِ الكفَّارِ أنهم إذا مَسَّهُمُ الضُّرُّ تَرَكوا السادةَ والمشايخَ فَلَم يَستغيثوا بهم، بل أَخْلَصُوا للهِ وحدَه لا شريكَ له، واسْتَغَاثُوا به وَحدَه، فإذا جاءَ الرخاءُ أَشْرَكوا، وأنت تَرَى المشركين من أهلِ زمانِنا – ولعلَّ بعضَهم يَدَّعِي أنه من أهلِ العلْمِ وفيه زهْدٌ واجتهادٌ وعِبادةٌ – إذا مَسَّه الضُّرُّ قامَ يَستغيثُ بغيرِ الله مثلَ: معروفٍ، أو عبدِ القادرِ الجيلانيِّ، وأَجَلَّ من هؤلاءِ مِثلِ: زيدِ بنِ الخطَّابِ، والزبيرِ، وأَجَلَّ من هؤلاءِ مثلَ رَسُولِ الله ﷺ، واللهُ المُستعانُ... وأعظَمُ من ذلك وِزْرًا أنهم يَستغيثون بالطواغيتِ والكفَرَةِ والمَرَدةِ، مثلَ شَمسانَ، وإدريسَ ويونس وأمثالِهم، واللهُ سبحانه وتعالى أعْلَمُ.

والحمدُ للهِ أوَّلًا وآخِرًا، وَصَلَّى اللهُ عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ وآلِهِ أَجْمَعِينَ، آمِينَ.

قوله: (ولْنَخْتِم الكلامَ بآيةٍ...) إلى: (... وَيوسف وأمثالهم):

هذه هي القاعدة الرابعة من "القواعد الأربع"، وهي مذكورة في "كشف الشبهات" أيضاً، وتكرارها لأهميتها.

* فمشركو القبورية أغلظ شركاً من مشركي العرب من وجوه:

الأول: أن شركهم دائم في الشدة والرخاء.

الثاني: أن شركهم شمل الشرك في الألوهية بدعاء غير الله تعالى، والذبح والنذر لغير الله سبحانه، وشمل شرك في الربوبية حيث جعلوا مَنْ يدعونه ينفع ويضر ويرزق ويشفي المريض ويدفع البلاء، بل وَصَل الأمر إلى أن الصوفية تدعي أن الأقطاب والأبدال والقطب الأكبر لها قدرة على تدبير الأمور، فقد عرفوا القطب الأكبر بقولهم: هو الذي لا يخفى عليه شيء في الدنيا ولا في الآخرة، ويملك التصرف في الكون العلوي والسفلي بما شاء[(١)].

الثالث: أن غالب أوليائهم فسقة أو كفرة؛ كابن عربي وشمسان والأشقر والرفاعي وابن علوان والبسطامي، وغيرهم من زعماء الرفض والتصوف.

* وشرك مشركي العرب أغلظ من وجوه أخرى:

الأول: استكبارهم عن النطق بالشهادة.

الثاني: محاربتهم للرسل وإنكارهم البعث وقدرة الله تعالى عليه.

وما أشبه ذلك.

تم

ولله الحمد أولاً وآخراً

****

(١) راجع للتوسع: "تقديس الأشخاص في الكفر الصوفي" (١/ ٩٧-١٢٥).

الفصل الثاني

أركان (لا إله إلا الله) ومقتضاها

واعلم رحمك الله تعالى أنها لا تنفع قائلها، ولا يلحقه شيء من فضائلها، إلا مع اعتقاد معناها ومقتضاها، والبراءة من ضدها، والعمل بركنيها: النفي والإثبات.

الشرح:

(أنها لا تنفع قائلها، ولا يلحقه شيء من فضائلها، إلا مع اعتقاد معناها ومقتضاها) والعمل بذلك أيضًا، كما تقدم توضيحه.

قال الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله تعالى: اعلم رحمك الله أن كلمة الإخلاص (لا إله إلا الله) لا تنفع قائلها إلا بمعرفة معناها، وهو نفي الإلهية عما سوى الله تعالى، والبراءة من الشرك في العبادة، وإفراد الله تعالى بجميع أنواعها.

(والبراءة من ضدها) وهو الشرك والكفر، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوت﴾. ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِالله فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾

عَنْ أَبِي مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ، يَقُولُ (مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مَنْ دُونِ الله، حَرُمَ مَالُهُ، وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى الله) (م ٢٣).

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى بعد هذا الحديث من كتاب التوحيد: وهذا من أعظم ما يبين معنى (لا إله إلا الله)؛ فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصمًا للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك،

بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله...

(والعمل بركنيها، النفي والإثبات)

فأركان لا إله إلا الله: هي أجزاؤها التي لا تتحقق بدونها وهي اثنان: نفي، وإثبات.

إثبات عبادة الله تعالى، ونفي استحقاق العبادة الحق عن غيره.

النفي في قوله (لا إله). والإثبات في قوله (إلا الله).

فـ(لا إله) نفت الألوهية عن كل ما سوى الله، و(إلا الله) أثبتت الألوهية لله وحده لا شريك له.

وهذا الأسلوب يعرف بأسلوب القصر، وهو أسلوب عربي معروف، وجملة القصر في قوة جملتين، إحداهما مثبتة، والأخرى منفية.

وهذا الأسلوب من أقوى الأساليب التي يؤتى بها لتمكين الكلام وتقريره في الذهن؛ لدفع ما فيه من إنكار أو شك.

وطريقُ القصر في كلمة التوحيد: النفي والاستثناء.

والأدلة:

﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء:٣٦]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ [الحج:٦٢]، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣]، ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾

وفي قصة هرقل: ماذا يأمركم؟ قال أبو سفيان: يقول: (اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً واتركوا ما يقول آباؤكم)، رواه البخاري

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «ولهذا كان رأس الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله، وهي متضمنة عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه..» أ.هـ [١]

وقال حافظ حكمي رحمه الله تعالى: «فمعنى لا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله»[٢].

وقال ابن أبي العز رحمه الله تعالى: «توحيد الإلهية هو استحقاقه سبحانه أن يعبد وحده لا شريك له»[٣].



(١) (١٠/ ١٥).

(٢) «المعارج» (٢/ ٤١٦).

(٣) «شرح الطحاوية» (١/ ٢٤/ ٤٣).

الفصل الثالث

شروطها وبيانها

وشروط (لا إله إلا الله) تسعة، ثبتت بالدليل، ومن أنكرها فهو على غير السبيل.

الشرح:

عدها بعض أهل العلم سبعة، بترك الأول والأخير، ومنهم عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، وحافظ حكمي وأكثر أهل العلم، وعدّها بعضهم أقل.

وعدها بعضهم ثمانية بترك الأول فقط، ومنهم الشيخ ابن باز في بعض كتبه.

وعدها بعضهم تسعة وهو الأقرب، ومنهم الشيخ حمود الشعيبي.

قد يقول قائل: إنك جعلت شروط الشهادة تسعة، وثانٍ قد جعلها عشرة، وآخر جعلها ثمانية وآخر جعلها سبعة، فما الصحيح في ذلك؟

أقول: لا تضاد في كل ذلك، وإنما هذا من باب اختلاف تنوع، فالذي عدها سبعة أدخل ثلاثة شروط أو شرطين في شرطٍ واحد والذي جعلها عشرة أو تسعة شروطٍ إنما فصل في بعض الشروط. أ.هـ

والشرط هنا: بمعنى ما لابد من وجوده لصحة الشيء.

وبمعنى: ما يتوقف ثبوت الحكم عليه.

فشروط لا الله إلا الله. هي: التي لا تصح (لا الله إلا الله) إلا بتوافرها.

فهي إلى الأركان أقرب من كونها شروطًا، وإنما سميت شروطًا لشبهها بالشروط في كون صحة الشهادة متوقف عليها.

وقد سئل مؤلف رسالة «أسباب نجاة المسئول من السيف المسلول» من قبل شخص ما قال في سؤاله: نحن نقول لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله.

ولا تكفون عن قتالنا، والكفار والأولون، إذا قالوها كف عنهم. وأنتم تقولون: إنكم تقولونها وتشركون. فماذا نقول حتى تكفوا عنا، أفتونا مأجورين؟

فأجاب الشيخ بقوله: إن كلمة الإخلاص هذه قيدت بقيود ثِقال حيث كان إمام الحنفاء عليه السلام لم يحصل له قول «لا إله إلا الله»، ولم تتم له المحبة والمولاة وهو إمام المحبين إلا بالمعاداة كما قال تعالى مخبرًا عنه: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٧٥ - ٧٧] فإنه لا ولاء إلا ببراءة، لا ولاء لله تعالى إلا بالبراءة من كل معبود سواه. أ.هـ

(ثبتت بالدليل) كما سيأتي.

(ومن أنكرها فهو على غير السبيل) وهم عامة أهل البدع، وسيأتي مع كل شرط بيان شيء من معتقد الفرق الضالة.



أولها: النطق بها مع القدرة، وهو أول واجب على العبد، ولا يكون مسلماً من عن نطقها تكبر أو جحد.

الشرح:

(النطق بها مع القدرة) ينطق بالشهادتين معًا، وهو شرط على الصحيح، ولا يكتفي بإحدهما، وما ورد من الأحاديث بإفراد أحدهما فهو مستلزم للآخر، وعليه الجمهور.

وهو أول واجب على المكلف، وقبول الأعمال متوقف على النطق بها، والعمل بمقتضاها.

وقال ابن المنذر رحمه الله تعالى: «أجمع كل من أحفظ عنه من أهل العلم على أن الكافر إذا قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأبرأ إلى الله من كل دينٍ يخالف دين الإسلام أنه مسلم...» اهـ بتصرف[١].

وكما دل عليه حديث جبريل لما سأل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان، فبدأ بتعريف الإسلام بالشهادتين، ولا شك أن العلم والقول والعمل مشترط في صحة الإتيان بهما.

ولذلك قال النووي رحمه الله تعالى: واتفق أهل السنة من المحدثين والفقهاء على أن المؤمن الذي يُحكم بأنه من أهل القبلة ولا يخلد في النار، لا يكون إلا من اعتقد بقلبه دين الإسلام اعتقادًا جازمًا خاليًا من الشكوك، ونطق بالشهادتين، فإن

---

(١) "الإجماع" (ص ١٧٥).

اقتصر على إحداهما لم يكن من أهل القبلة أصلًا، إلا إذا عجز عن النطق لخلل في لسانه أو لغير ذلك، فإنه يكون مؤمنًا...أ.هـ من شرح مسلم.

ويشترط في هذا النطق أن يكون على سبيل الإقرار بها، وهو أن يوافق اعتقاده ما نطق به قلبه، كما نص عليه المعلمي.

كما يشترط نص الشهادة فلا يقوم لفظ آخر مقامها لمن أراد الدخول في الإسلام، وهكذا في الأذان والتشهد والأذكار.

قال المقريزي رحمه الله تعالى: فلا ولي ولا حَكَم ولا رب إلا الله؛ الذى من عدل به غيره فقد أشرك في ألوهيته ولو وحَّد ربوبيته، فتوحيد الربوبية هو الذى اجتمعت فيه الخلائق مؤمنها وكافرها، وتوحيد الإلهية مفرق الطرق بين المؤمنين والمشركين؛ ولهذا كانت كلمة الإسلام: (لا إله إلا الله)، ولو قال: لا ربّ إلا الله، لما أجزأه عند المحققين. (رسائل المقريزي ١/ ٨٧).

ولو قال: أنا مسلم، قبلت منه وطولب بالنطق بالشهادتين حينها، فإن أبى فهو كافر. ويدل على ذلك حديث الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ:

يَا رَسُولَ الله، أَرَأَيْتَ إِنْ لَقِيتُ رَجُلًا مِنَ الْكُفَّارِ فَقَاتَلَنِي، فَضَرَبَ إِحْدَى يَدَيَّ بِالسَّيْفِ فَقَطَعَهَا، ثُمَّ لَاذَ مِنِّي بِشَجَرَةٍ، فَقَالَ: أَسْلَمْتُ لله، أَفَأَقْتُلُهُ يَا رَسُولَ الله، بَعْدَ أَنْ قَالَهَا؟ قَالَ: رَسُولُ الله ﷺ: «لَا تَقْتُلْهُ» (خ ٤٠١٩) (م ٩٥).

وقوله: (مع القدرة) لأن التكليف معلق بالقدرة، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: فأما الشهادتان إذا لم يتكلم بهما مع القدرة فهو كافر باتفاق المسلمين... أ.هـ الفتاوى (٧/ ٦٠٩).

ونقل الإجماع قبله الآجري وابن حزم وغيرهما.

فمن كان أعجمًا (أخرس) لا يتكلم فبالإشارة ونحوها.

وأما الأعجمي فيلقن ويردد بعد من يلقنه، ولو وجد من عجز عن ترديدها بالعربية وهذا نادر فإنه ينطقها بلغته، وتقبل منه.

أدلة هذا الشرط:

تقدمت أحاديث في هذا منها حديث ابن عباس: (فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تَعَالَى)، وحديث: (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ). وحديث: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ» وأمثاله من أحاديث الشفاعة التي نصت على قول كلمة التوحيد.

(وهو أول واجب على العبد) تقدم دليله والكلام عليه.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «السلف والأئمة متفقون على أن أول ما يؤمر به العباد الشهادتان، ومتفقون على أن مَن فعل ذلك قبل البلوغ لم يؤمر بتجديد

ذلك عقب البلوغ.

والشهادة تتضمن الإقرار بالصانع تعالى وبرسوله، لكن مجرد المعرفة بالصانع لا يصير به الرجل مؤمناً بأن يعلم أنه سبحانه رب كل شيء، حتى يشهد أن لا إله إلا الله»[(١)].

(ولا يكون مسلماً من عن نطقها تكبر أو جحد) من أبى أن ينطق بها فهو كافر، كما قال تعالى عن الكفار: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾، وهذا هو كفر الاستكبار.

وكلمة التوحيد لا تتحق إلا بجميع شروطها معًا، وإن كان من شروطها مثلاً النطق والإقرار؛ فلا تتحقق ولا تصح (لا إله إلا الله) إلا به، ولا يلزم من وجوده منفرداً ـ من دون بقية الشروط والأركان ـ وجود وتحقق (لا إله إلا الله)، ولكن عدم وجود هذا الشرط وغيابه يستلزم غياب وانتفاء (لا إله إلا الله) كليًّا.

عقيدة أهل البدع في هذا الشرط:

١- الجهمية والأشاعرة والماتريدية (المرجئة):

يرون أن النطق شرط في الظاهر، ولا تلازم بين النطق والاعتقاد.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: فأما الشهادتان إذا لم يتكلم بهما مع القدرة فهو كافر باتفاق المسلمين، وهو كافر باطنًا وظاهرًا عند سلف الأمة وأئمتها وجماهير علمائها، وذهبت طائفة من المرجئة وهم جهمية المرجئة: كجهم والصالحي

(١) "درء التعارض" (٨/ ١١).

وأتباعهما إلى أنه إذا كان مصدقًا بقلبه كان كافرًا في الظاهر دون الباطن، وقد تقدم التنبيه على أصل هذا القول، وهو قول مبتدع في الإسلام لم يقله أحد من الأئمة، وقد تقدم أن الإيمان الباطن يستلزم الإقرار الظاهر. أ.هـ الفتاوى (٧/ ٦٠٩).

٢- الكرامية: أتباع محمد بن كرام السجستاني (ت ٢٥٥)

جعلوا الحكم بإسلامه بالنطق والإقرار، فيكون بذلك مؤمنًا، فإن أبطن الكفر فهو مؤمن منافق مخلد في النار، وهذا تناقض عجيب.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: وقالت الكرامية: هو القول فقط، فمن تكلم به فهو مؤمن كامل الإيمان، لكن إن كان مقرًا بقلبه كان من أهل الجنة، وإن كان مكذبًا بقلبه كان منافقًا مؤمنًا من أهل النار. الفتاوى (١٣/ ٥٦).

وشبهتهم ما ورد من التنصيص على الدخول في الإسلام بالقول، وقد تقدم بيان أن القول وحده لا يكفي إلا مع الاعتقاد والعمل، ولذلك كان اليهود والنصارى والمنافقون ونحوهم كفارًا بنص القرآن الكريم مع أنهم يقولونها.

٣- المعتزلة والخوارج:

يرون النطق شرط، لكن يزول بارتكاب معصية.

٤- الحزبية: أتباع الأحزاب الإسلامية.

وهؤلاء أشبه بالخوارج، ومنهم من يميل لقول المرجئة، ومنهم من يوافق أهل السنة.

الرد على من زعم: أن أول واجب غير التوحيد والشهادة.

* الخوارج:

والناظر في أحوال الخوارج يجد أن أول ما يبدؤون به مسائل التكفير، فمن وافقهم فهو مؤمن، ومن خالفهم فهو مشرك، وهذا عندهم: الولاء والبراء.

وفسروا التوحيد بذلك كما قال السالمي:

ثم الولاية توحيداً تكون وأخرى طـــــاعة إن شرطها حصلا[١].

* الرافضة:

هم على مذهب المعتزلة في الجملة، إلا أنهم يصرحون أن أول واجب اعتقاد إمامة الاثني عشر وعصمتهم.

انظر ما في كتاب (البرهان) من نسبة كلام إلى أهل البيت – وهو كذب عليهم – قالوا: (ما بُعث نبي قط إلا بولايتنا والبراءة من أعدائنا)[٢].

وفسروا التوحيد بالولاية للاثني عشر، والشرك: بالشرك في الولاية[٣].

* المعتزلة والأشاعرة وسائر أهل الكلام:

أول واجب عندهم: النظر المؤدي إلى معرفة الله. وقيل: المعرفة بالله. وقيل: الشك، كما قاله الغزالي وغيره. وقيل: القصد إلى النظر.

---

(١) «غاية المراد» (ص١١).

(٢) «البرهان» (٢/ ٣٦٧)، و«أصول الكافي» (١/ ٤٣٧).

(٣) انظر «مرآة الأنوار» (ص٢٠٢) و(ص١٠٠).

وقال القاضي عبد الجبار المعتزلي: إن سأل سائل فقال: ما أول واجب عليك؟ فقل: النظر المؤدي إلى معرفة الله تعالى، لأنه تعالى لا يعرف ضرورة ولا بالمشاهدة فيجب أن نعرفه بالتفكير والنظر..[١].

وقال الباقلاني: أول ما فرض الله عز وجل على جميع العباد: النظر في آياته والاعتبار بمقدوراته... لأنه سبحانه غير معلوم باضطرار ولا مشاهد بالحواس إنما يعلم وجوده بالأدلة القاهرة والبراهين الباهرة[٢].

فاتفق الأشاعرة مع المعتزلة كما قال أبو جعفر السمناني الأشعري:

القول بإيجاب النظر بقية في المذهب من أقوال المعتزلة[٣].

فكثير من المعتزلة والأشعرية وغيرهم ذهبوا إلى أنها لا تحصل إلا بالنظر.

وذهب بعض أهل الكلام والصوفية والشيعة وغيرهم إلى أنها تقع ضرورة من غير نظر وبحث، وبهذا قال جهم وبعض الأشاعرة.

وقال جمهور طوائف المسلمين: ممكن أن تقع ضرورة ومكن أن تقع بالنظر.

أ. هـ بتصرف[٤].

(١) «شرح الأصول الخمسة» (ص٣٩).

(٢) «الإنصاف» (٣٣).

(٣) نقلاً: درء التعارض» (٧/ ٤١٩،٤٠٧).

(٤) «درء التعارض» (٧/ ٣٥٣-٣٥٤).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «والنبي ﷺ لم يدع أحداً من الخلق إلى النظر ابتداءً ولا إلى مجرد إثبات الصانع، بل أول ما دعاهم إليه الشهادتان كما في حديث معاذ...»[١].

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى - بعد حديث معاذ وغيره -: «ولهذا كان الصحيح أن أول واجب على المكلف: شهادة أن لا إله إلا الله، لا النظر ولا القصد إلى النظر ولا الشك كما هي أقوال أرباب الكلام المذموم...»[٢].

وقال شيخ الإسلام مبيناً تناقض الأشاعرة: ثم القول بأن أول الواجبات المعرفة أو النظر لا يمشي على قول من قال: لا واجب إلا بالشرع كما هو قول الأشعرية» .

❊ الصوفية:

وهم أشاعرة وأردى منهم.

قال شيخ الإسلام ردًّا عليهم: «الإقرار والاعتراف بالخالق فطري ضروري في نفوس الناس وإن كان بعض الناس قد يحصل له ما يفسد فطرته حتى يحتاج إلى نظر تحصل له بعد المعرفة، وهذا قول جمهور الناس وحُذَّاق النُّظار...»[٣].

وهذه المعرفة عندهم تحصل بالرياضة والنظر وتصفية النفس...إلى آخر ضلالهم.

---

(١) «درء التعارض» (٨/ ٦)، «الفتاوى» (١٦/ ٣٢٨).

(٢) المدارج» (٣/ ٤١٢).

(٣) «الفتاوى» (١٦/ ٣٢٨).

* **الحزبية**:

وهم خليط منهم من هو على طريقة أهل الكلام كما هو ظاهر كلام صاحب كتاب التوحيد: الزنداني[(١)]. وهكذا الغزالي وأبو غدة وغيرهما.

وجمهور القوم يرون أن قضايا الحكم من أوجب، الواجبات فينكرون البداءة بالدعوة إلى التوحيد لأنها عندهم مسائل فرعية.

وقد رد عليه الشيخ ربيع[(٢)].



(١) (انظر (ص٥) من كتاب «توحيد الخالق».

(٢) انظر: «منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله» (ص٢٨-٢٩).

وثانيها: العلم المنافي للجهل، وحدُّه: العلم بمعناها وركنيها ولوازمها وشروطها، ونحو ذلك.

الشرح:

والمراد بالعلم: فهم وإدراك معناها نفياً وإثباتاً، وما تستلزمه من عمل مع إقراره في القلب وتصديقه، فإذا علم العبد أن الله عز وجل هو المعبود الحق وحده، وأن عبادة غيره باطلة، وعمل بمقتضى ذلك العلم فهو عالم بمعناها.

ومعناها: لا معبود بحق إلا الله تعالى. كما تقدم.

فنفى الحق عن عبادة غيره مهما كان نوعه وفضله، وأثبت العبادة الحق له وحده لا شريك له في ذلك.

(المنافي للجهل) والجهل نقيض العلم، فهو عدم فهم وإدراك معناها نفياً وإثباتاً، وما تستلزمه من عمل.

ومنه الجهل البسيط بحيث لا يفهم شيئًا من ذلك، ومنه الجهل المركب كمن يفسرها بمعاني باطلة أو مخالفة ونحو ذلك، أو ينكر مدلوها ومقتضاها.

قال الصنهاجي رحمه الله تعالى: وقد أجمع العلماء على أن فهمها واجب على كل أحد، وجاهل معناها بحيث لا يميز بين الله ورسوله هو كافر بإجماع أهل المعقول والمنقول. (رسائل التوحيد ص ٥٧).

والجهل بمعناها هو الذي أوقع كثيراً من الناس في الشرك الأكبر، حيث جهلوا معنى (الإله) وأن (الإله) هو المعبود، وجهلوا مدلول النفي ومدلول الإثبات.

(وحدُّه: العلم بمعناها وركنيها ولوازمها وشروطها، ونحو ذلك) أي: على وجه الإجمال بما يؤدي إلى سلامة التوحيد والعبادة، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

دليل هذا الشرط:

قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾[محمد: ١٩]. اعلم أمر يفيد وجوب تعلم هذه الكلمة ومعناها، فلا عمل مقبول إلا بعلم صحيح.

ولذلك قال الإمام البخاري بَاب العِلْمُ قَبْل القَوْل وَالعَمَل. وذكر هذه الآية.

وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، جاء عن ابْنِ عَبَّاسٍ: مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَعْنِي: خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ.

فيكون المعنى: إلا من شهد أن لا إله إلا الله وهم يعلمون معنى ما نطقوا به.

وعَنْ عُثْمَانَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، دَخَلَ الجَنَّةَ» (م ٢٦).

وقد أثنى الله تعالى على أهل العلم الذين علموا معنى شهادة التوحيد، قال تعالى: (شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[آل عمران: ١٨].

ولفظ الشهادة دال على العلم أيضًا، فإنما تصح شهادة الشاهد إذا تكلم بعلم.

كما أن لفظ الإيمان واليقين كلاهما دال على العلم.

وتقد نقل الإجماع الآجري وغيره.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: فمن شرط الإيمان وجود العلم التام.

(الفتاوى ٧/ ٥٣٨).

وقال المعلمي رحمه الله تعالى: وقد دلَّ الكتاب والسنة والإجماع والمعقول على أنَّه لا يكفي النطق بها بدون معرفة معناها...

وقال: ومنها (الشروط): العلم بمضمونها، والعلم هو التصديق، وقيل: التصديق أخصُّ،... (آثار المعلمي ٢/ ٤).

عقيدة أهل البدع في هذا الشرط:

أهل البدع من المعتزلة والأشاعرة ونحوهم من المتكلمين:

يرون أن العلم بمعنى الشهادة على مفهومهم واجب.

وقد تقدم أن تفاسيرهم لها تدل على جهلهم بمعناها.

ومع ذلك يقول كثير منهم لا يصح إيمان المقلد في العقيدة، وهذا خلاف الدليل والإجماع القديم، فكم أسلم من العجم ولم يخوضوا في تفاصيل العقيدة، وكان يكتفى منهم بما يؤدي إلى الإيمان بأنواع التوحيد، وأركان الإيمان، وأركان الإسلام. وبعضهم يصحح إيمانه ويقول إنه يأثم، وهذا فيه نظر.

وإليك بعض التفصيل في المسألة:

قال ﷺ: (وَأَمَّا الْمُنَافِقُ أَوِ الْمُرْتَابُ فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ) وهذا دليل من قال: لا يصح التقليد في أصول العقيدة، وأما دقائق المسائل فهذه لا يدرك تفاصيلها إلا العلماء وكبار الطلبة، وأهل السُّنَّة والجماعة بعد

الصحابة على عقيدة الصحابة، وهي مبنيَّةٌ على علم، وليس مجرَّد تقليد؛ لأنَّ الصحابةَ رضي الله عنهم هم الذين شهدوا التنزيل وهم أعلم بمعانيه، وهكذا من تبعهم على مر العصور.

وخالف في هذا أهل الكلام فاحتجوا بالعقل على نفي التقليد، ثم قلدوا الفلاسفة في أصول أدلتهم، وقال آخرون: جميع عقائد العوام مباديها التلقين المجرد، والتقليد المحض.

وقال بعضهم: إن الأصول يجب فيها اليقين والعلم دون التقليد، والفروع (الأحكام) يكفي فيها الظن.

ومعنى التقليد عند أهل الكلام: هو اتباع الكتاب والسنة من غير نظر عقلي.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «والنبي ﷺ لم يدع أحداً من الخلق إلى النظر ابتداءً ولا إلى مجرد إثبات الصانع، بل أول ما دعاهم إليه الشهادتان كما في حديث معاذ...

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى - بعد حديث معاذ وغيره -: «ولهذا كان الصحيح أن أول واجب على المكلف: شهادة أن لا إله إلا الله، لا النظر ولا القصد إلى النظر ولا الشك كما هي أقوال أرباب الكلام المذموم...».

وأما قول الغزالي: (جميع عقائد العوام مباديها التلقين المجرد، والتقليد المحض) فهذا ليس على إطلاقه، بل الفطرة والآيات القرآنية التي تردد عليه في الصلوات، والآيات الكونية تجعله على عقيدة صحيحة بكثير من أصول الاعتقاد، إلا أن يبتلى

بمبتدع يفسد عقيدته من خوارج ورافضة ومعتزلة وأشاعرة وماتريدية وحزبية ونحوهم، فهؤلاء هم قطاع الطريق بين المسلمين وبين العقيدة الصحيحة واليقين بها.

وقولهم: (إن الأصول يجب فيها اليقين والعلم دون التقليد، والفروع يكفي فيها الظن) وهذا مبني على التفريق بين الأصول والفروع وهو بهذه الصورة باطل فالحكم واحد في الجملة.

ويكثر في كلامهم: (غالب الفقه ظنيات) ونحو ذلك، وتجد أن غالب المتمذهبة من المبتدعة مقلدة في الفقه تقليدًا أعمى.

ويبنى على ما سبق تقريره من جوَّاز التقليد فيما يعجز عن فهمه: أن العذر بالتقليد الجائز من جنس العذر بالتأول والجهل.(١)

وقال الشيخ صالح آل الشيخ وفقه الله تعالى: والتقليد في الاعتقاد فيه تفصيل: فما كان مما يُشْتَرَطُ لصحة الإسلام والإيمان فلا ينفع فيه التقليد؛ بل لابُدَّ فيه من أخذ القول بدليله وجوباً؛ لأنَّ هذا هو العلم الذي أمر الله عز وجل به في قوله ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [محمد:١٩]، مثل العلم بالشهادتين، وأركان الإيمان الستة، وأركان الإسلام الخمسة.

أَمَّا التقليد في الاستدلال فلا بأس به؛ يعني أن يَعْلَمَ وجه الدليل من الحُجَّةْ ويُقَلِّدُ العالم في الاقتناع بهذا الدليل يعني بوجه الاستدلال، فهذا لا بأس به لأنَّ المجتهد

---

(١) مجموع الفتاوى (٢/ ٣٦٧) (٢٠/ ٣٢، ٣٣).

في فهم الدليل في هذا قليل في الأمة...أ.هـ من شرح الطحاوية.

ومتى كان التقليد طريقًا إلى الإيمان الجازم فقد أدى إلى العلم، لأن الإيمان واليقين يكون بعلم، وهذا يرد على من أوجب النظر للوصول إلى العلم.

لكن من فرط في العلم عمدًا فهو عاصٍ لله تعالى.

عقيدة الصوفية في هذا الشرط:

تقدم تفسير الصوفية لمعنى شهادة التوحيد، مما يظهر عظيم جهلهم به، بل ويجادلون في ذلك وينفون الشرك في الألوهية بناءً على فهمهم السقيم للمعنى.

وفسروا معنى (لا إله إلا الله) لا موجود إلا الله، أو: لا خالق إلا الله.

وقال زيني دحلان: فإن توحيد الربوبية هو توحيد الألوهية.

ويفسر أبو حامد بن مرزوق (لا إله إلا الله) بأنها: لا رب إلا الله، ويعتبر التفريق بين الألوهية والربوبية بدعة.

وقد بنوا على ذلك أصلاً خطيراً يهدم الدين من أساسه وهو: لا شرك إلا في الربوبية.

وقال دحلان: فالذي يوقع في الشرك هو اعتقاد ألوهية غير الله سبحانه أو اعتقاد التأثير لغير الله.

وقال الشبلي: ما شم روائح التوحيد من تصور عنده التوحيد...

أسباب إهمال توحيد الألوهية عند المبتدعة:

١- أنهم جعلوا أول واجب النظر... فاشتغلوا به وأهملوا توحيد الألوهية.

٢- الإرجاء أحد الأسباب حيث إن توحيد الألوهية يعود إلى الإيمان فهو شامل لعمل الجوارح والقلب واللسان، وكلمة: لا إله إلا الله، أعلى شعب الإيمان.

قال الباقلاني: والإيمان بالله تعالى يتضمن التوحيد له سبحانه والوصف له بصفاته ونفي النقائص عنه...

وقال: واعلم أن حقيقة الإيمان هو التصديق...

٣- أن الألوهية بمعنى الربوبية – عندهم- فلا حاجة لإفرادها.

عقيدة البدع الحزبية كذلك:

غالبهم لا يفهم معناها، وإن فهم لا يهتم لذلك، وربما وقعوا في الشرك القبوري، أو الشرك العلماني ونحوه.

مسألة العذر بالجهل:

ذكرنا هذه المسألة في قواعد التوحيد برقم (٢٥):

العذر بالجهل في مسائل التوحيد حقٌّ بضوابطه.

العذر بالجهل في مسائل التوحيد والعقيدة وغيرهما حق إذا تمت شروطه وضوابطه، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [سورة الإسراء:١٥]، ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [سورة الأنعام:١٩]، والجهل يكون عذراً لمن لم تبلغه الحجة على وجهها: إما لم تبلغه أصلاً، أو بلغته ولم يفهمها لجهله باللسان الذي خوطب به، أو لأمر آخر كعجزه وعدم قدرته على معرفة الحق.

أما من كان سبب جهله الإعراض عما جاء به الرسول ﷺ من الكتاب والحكمة، وابتغى الهدى في خلاف ذلك فهو بعد البلاغ كافرٌ، كغلاة الرافضة وغلاة المتصوفة واليهود والنصارى وغيرهم.

وأما من كان مؤمناً بالله تعالى ورسوله ﷺ مطلقاً ولم يبلغه من العلم ما يتبين له به الصواب غالبًا لطالب الحق؛ فإنه لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي من خالفها كفر، والكفر لا يكون إلا بعد البيان.

وبلوغ الحجة يُراد به فهمها فهماً يُدرك به المقصود منها، وهذا قول عامة السلف، ولا يُشترط أن يفهمها كفهم من أراد الله تعالى هدايته وهو (فهم التوفيق)، بل يكفي في ذلك فهم مقصود الكلام ومعناه العام.

وقيام الحجة يختلف باختلاف الزمان والمكان، والناس، وحسب أحوال الناس وطرق بلوغ الحجة وفهمها.

وبعض الأمور تقوم بها الحجة بمجرد الإقرار بالله تعالى كتوحيد الربوبية في الجملة، لأن ذلك أمر فطري، أما تفاصيل المسائل فهذه قد يُعذر فيها كما عُذِر الرجل الذي أحرق نفسه، والله أعلم.

والخلاصة: ينقسم الجهل بمعنى شهادة التوحيد وبالتوحيد عمومًا إلى:

الأول: جهل يعذر صاحبه به بالإجماع.

وهو الجهل بالمسائل الخفية والدقيقة من العقيدة، كما وقع للذي أحرق نفسه، وكان جاهلًا بدقيق قدرة الله تعالى، وكالجهل بضلالات الفرق المبتدعة على التفصيل، مما لا يناقض أصل التوحيد،

والثاني: جهل لا يعذر صاحبه به بالإجماع.

وهو الجهل بحقيقة التوحيد، بحيث لا يميز بينه وبين ما يناقضه، وما أشبه ذلك مما لا يصح الإسلام ابتداء بدونه، وما علم من الدين بالضرورة لدى عامة المسلمين.

كأن يرى جواز صرف العبادة لغير الله تعالى مع ثبوتها عبادة عنده، أو أقر بألوهية غير الله تعالى أو ربوبيته، أو سب الله تعالى، أو قال بالحلول أو الاتحاد، ونحو ذلك.

والثالث: ما وقع فيه الخلاف بين أهل العلم.

وهو الجهل ببعض ما يناقض التوحيد من تفاصيل العقيدة، كمن ينفي أكثر صفات الله تعالى من المبتدعة، وكمن يعيش بين القبورية ويرى جواز الاستغاثة بالولي لاعتقاده واسطة، ونحو ذلك.

فهذا إن كان جهله عن عناد أو إعراض عن العلم فكثير من العلماء لا يعذره، وبعضهم يعذره بالجهل حتى تقوم عليه الحجة ويفهم مقصود المتكلم بها جملة.

وقال المعلمي رحمه الله تعالى: وكذلك من نطق بالشهادتين ملتزماً للإسلام، ولم يكن يعلم معناهما تفصيلاً؛ فإنه يقبل إسلامه، ولكنه لا يُعذر إذا جرى منه ما

ينقض الشهادة، إلا إذا كان قريب العهد بالكفر لم يُمكنه التعلم، وحال ما يبين له أن قوله أو فعله مخالف للشهادة يرجع عنه ...

ويمكن تقريب المسألة: أن كل جهل يمكن دفعه، لا يكون حجة للجاهل، فإن الله تعالى بعث رسله إلى خلقه برسائله، وأوجب عليهم كافة أن يعلموها، ثم يعملوا بها، فالعلم والعمل بها واجبان، فمن ترك التعلم والعمل، وبقي جاهلاً فقد عصى معصيتين لتركه واجبين.



وثالثها: اليقين بما دلت عليه المنافي للشك، وهو: اطمئنان القلب واستقرار العلم فيه ودوامه، وهو قدر زائد على مجرد العلم، ومثمر للتسليم والعمل.

الشرح:

اليقين، هو الفارق بين المؤمن والمنافق، وهو أصل الإيمان.

ومعنى ذلك أن تستيقن يقينًا جازمًا بمعنى كلمة التوحيد، ومقتضاها؛ بأن الله تعالى هو المعبود الحق، وأن عبادة غيره باطل وشرك.

وهو ثلاث مراتب: علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين.

فعلمنا بأن الله تعالى خلق الجنة علم اليقين، فمن رآها بلغ عين اليقين، ومن دخلها بلغ حق اليقين.

(المنافي للشك) والشك: التردد بين أمرين بلا ترجيح.

كما هو حال بعض المنافقين الذين لم يكونوا مؤمنين مخلصين، ولا مكذبين، ولكن بينهما، ﴿وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾.

ويلحق بالشك التوقف في الجزم بالعلم، وهو نوع من الشك.

وشر منهم غلبة الظن بصحة الباطل.

(وهو: اطمئنان القلب واستقرار العلم فيه ودوامه، وهو قدر زائد على مجرد العلم)

هذا من أجود ما يعرّف به اليقين، وهو أعلى درجات العلم.

وقال ابن رجب رحمه الله تعالى: واليقين: هو العلم الحاصل للقلب بعد النظر والاستدلال، فيوجب قوة التصديق حتى ينفي الريب، ويوجب طمأنينة القلب بالإيمان وسكونه وارتياحه به... (فتح الباري ١/ ١٣).

(ومثمر للتسليم والعمل) علم القلب موجب لعمل القلب والجوارح، ولا يتم اليقين إلا بذلك؛ لتلازم الظاهر والباطن.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: ثم اليقين ينتظم منه أمران: علم القلب، وعمل القلب. فإن العبد قد يعلم علمًا جازمًا بأمر؛ ومع هذا فيكون في قلبه حركة واختلاج من العمل الذي يقتضيه ذلك العلم، كعلم العبد أن الله رب كل شيء ومليكه؛ ولا خالق غيره؛ وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن؛ فهذا قد تصحبه الطمأنينة إلى الله والتوكل عليه، وقد لا يصحبه العمل بذلك؛ إما لغفلة القلب عن هذا العلم والغفلة هي ضد العلم التام، وإن لم تكن ضدًّا لأصل العلم، وإما للخواطر التي تسنح في القلب من الالتفات إلى الأسباب وإما لغير ذلك. الفتاوى (٣/ ٣٢٩).

واليقين يحصل بمعرفة عظمة الله تعالى، وأنه منزه عن الشريك في العبادة والتوحيد، كما أن العمل بالعلم يورث اليقين، ولهذا كانت الذنوب والبدع من أسباب الشك والحيرة.

أدلة هذا الشرط وهو اليقين:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾، لم يرتابوا لكمال وصدق إيمانهم، ورأس الإيمان الشهادتان.

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾. وقال: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾. والحق: اليقين.

وفي حديث أبي هريرة السابق: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، لَا يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ» (م ٢٧).

وعن أبي هُرَيْرَةَ أيضًا، قَالَ: كُنَّا قُعُودًا حَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، مَعَنَا أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ فِي نَفَرٍ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا، فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا، وَخَشِينَا أَنْ يُقْتَطَعَ دُونَنَا، وَفَزِعْنَا، فَقُمْنَا، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ، فَخَرَجْتُ أَبْتَغِي رَسُولَ اللهِ ﷺ حَتَّى أَتَيْتُ حَائِطًا لِلْأَنْصَارِ لِبَنِي النَّجَّارِ، فَدُرْتُ بِهِ هَلْ أَجِدُ لَهُ بَابًا؟ فَلَمْ أَجِدْ، فَإِذَا رَبِيعٌ يَدْخُلُ فِي جَوْفِ حَائِطٍ مِنْ بِئْرٍ خَارِجَةٍ - وَالرَّبِيعُ الْجَدْوَلُ - فَاحْتَفَزْتُ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «أَبُو هُرَيْرَةَ» فَقُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟» قُلْتُ: كُنْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، فَقُمْتَ فَأَبْطَأْتَ عَلَيْنَا، فَخَشِينَا أَنْ تُقْتَطَعَ دُونَنَا، فَفَزِعْنَا، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ، فَأَتَيْتُ هَذَا الْحَائِطَ، فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ، وَهَؤُلَاءِ النَّاسُ وَرَائِي، فَقَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ» وَأَعْطَانِي نَعْلَيْهِ، قَالَ: «اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ،

فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ». (م ٣١).

وحديث مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، يَرْجِعُ ذَلِكَ إِلَى قَلْبِ مُوقِنٍ إِلَّا غَفَرَ اللهُ لَهَا» وقد تقدم.

وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قال: أَخْبَرَنَا مَنْ شَهِدَ مُعَاذًا حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ. يَقُولُ: اكْشِفُوا عَنِّي سَجْفَ الْقُبَّةِ أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أُحَدِّثَكُمُوهُ إِلَّا أَنْ تَتَّكِلُوا سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ يَقِينًا مِنْ قَلْبِهِ، لَمْ يَدْخُلِ النَّارَ، أَوْ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَلَمْ تَمَسَّهُ النَّارُ» رواه أحمد (٢٢٠٦٠) بهذا اللفظ، وهو صحيح.

عقيدة أهل البدع في شرط اليقين:

ذهب بعض المعتزلة إلى أن واجب هو الشك في وجود الله تعالى، ثم البحث والنظر لدفع هذا الشك، وهذا عجيب!

ومن ذلك الشك في استحقاق الله تعالى للعبادة وحده لا شريك له.

وهذا كثير في طوائف القبورية.

وكثير من أهل الكلام أصحاب شك وحيرة.

دفع الوسواس لا يضر اليقين:

من طرأت عليه وساوس شيطانية في حق الله تعالى فبادر إلى قطعها لم تضر يقينه، وذلك أنها من الشيطان وهو لم يتقبلها لثبات يقينه.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (لَا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يُقَالَ: هَذَا خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللهَ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِالله). (م ١٣٤).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ أَحَدَنَا يَجِدُ فِي نَفْسِهِ، يُعَرِّضُ بِالشَّيْءِ، لَأَنْ يَكُونَ حُمَمَةً أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، فَقَالَ: «اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، الحَمْدُ لله الَّذِي رَدَّ كَيْدَهُ إِلَى الْوَسْوَسَةِ».

رواه أبو داود (٥١١٢) وصححه الألباني.

والذي يضر المسلم هو الاسترسال مع هذا مما قد يؤدي به إلى الشك.



ورابعها: الصدق المنافي للكذب والنفاق، وهو عنوان الإسلام، والفارق بين أهل الإيمان والكفران، وهو: توافق اللسان بالشهادة مع يقين وعلم القلب، الموافق للحق، وعمل الجوارح بذلك.

الشرح:

الصدق من أهم الشروط، وبه يتميز المسلم من المنافق، والموحد من المشرك، وهو ثمرة العلم واليقين.

(المنافي للكذب والنفاق) لأن الكذب خلاف الحق، وخلاف الواقع، فلا يتفق مع الصدق بل هما متنافيان، والنفاق كذلك: إظهار الإسلام وإبطان الكفر، فهو نوع من الكذب بل هو أخبث الكذب، ولهذا يجمع بينهما كثيرًا.

قال تعالى في صفة المنافقين: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾، فالمرض النفاق وسببه الكذب.

وقال فيهم رسول الله ﷺ: (آيةُ المنافق ثلاث، إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان) (خ ٣٣) (م ٥٩).

(وهو عنوان الإسلام) تقدم توضيحه، فأعلى درجات الصدق التوحيد والشهادتان، وهما رأس الإسلام وعنوانه الأعظم.

(والفارق بين أهل الإيمان والكفران) الشرك والكفر من أكذب الكذب، فهو ينافي الصدق والتوحيد، وقد سبق قوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾. جاء عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قال: ﴿وَالَّذِي جَاءَ

بِالصِّدْقِ﴾ يَقُولُ: «مَنْ جَاءَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ يَعْنِي: «رَسُولَهُ».

فالتوحيد رأس الصدق، والكذب رأس الشر والكذب، قال تعالى في صفة الكفار: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾، ﴿أَلَا للهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾، ومن هؤلاء عباد القبور الذين يصرفون العبادة للموتى.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: والصدق والإخلاص هما في الحقيقة تحقيق الإيمان والإسلام فإن المظهرين للإسلام ينقسمون إلى مؤمن ومنافق، والفارق بين المؤمن والمنافق هو الصدق؛ فإن أساس النفاق الذي يبنى عليه هو الكذب؛ ولهذا إذا ذكر الله حقيقة الإيمان نعته بالصدق كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾.

(وهو: توافق اللسان بالشهادة مع يقين وعلم القلب، الموافق للحق، وعمل الجوارح بذلك).

الصدق بتعريفه العام: موافق الكلام للواقع حسب اعتقاد المتكلم.

وبتعريف الخاص: موافقة القول والعمل للحق والصواب.

فمن نطق بالشهادتين واعتقد بقلبه أن الله تعالى هو الحق كما تقدم، ورسخ هذا في قلبه، وعمل بجوارح بمقتضى الشهادة وبرئ مما خالفها، فهو المسلم الصادق.

فإن أخل بواحد منها لم يكن صادقًا.

(وعمل الجوارح بذلك) الصدق قول وعمل واعتقاد.

دل على ذلك القرآن الكريم والسنة واللغة، فالقول كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾. الصدق هنا: قول لا إله إلا الله.

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾، فجعل الإيمان بالقلب والعمل ومنه الجهاد من صفة الصادقين.

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾، صدقت بالعمل.

ومن السنة حديث شَدَّادِ بْنِ الْهَادِ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَآمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: أُهَاجِرُ مَعَكَ، فَأَوْصَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ بَعْضَ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَةٌ غَنِمَ النَّبِيُّ ﷺ سَبْيًا، فَقَسَمَ وَقَسَمَ لَهُ، فَأَعْطَى أَصْحَابَهُ مَا قَسَمَ لَهُ، وَكَانَ يَرْعَى ظَهْرَهُمْ، فَلَمَّا جَاءَ دَفَعُوهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟، قَالُوا: قِسْمٌ قَسَمَهُ لَكَ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَخَذَهُ فَجَاءَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالَ: «قَسَمْتُهُ لَكَ»، قَالَ: مَا عَلَى هَذَا اتَّبَعْتُكَ، وَلَكِنِّي اتَّبَعْتُكَ عَلَى أَنْ أُرْمَى إِلَى هَاهُنَا، وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ بِسَهْمٍ، فَأَمُوتَ فَأَدْخُلَ الْجَنَّةَ فَقَالَ: «إِنْ تَصْدُقِ اللهَ يَصْدُقْكَ»، فَلَبِثُوا قَلِيلًا ثُمَّ نَهَضُوا فِي قِتَالِ الْعَدُوِّ، فَأُتِيَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ يُحْمَلُ قَدْ أَصَابَهُ سَهْمٌ حَيْثُ أَشَارَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَهُوَ هُوَ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «صَدَقَ اللهَ فَصَدَقَهُ»، ثُمَّ كَفَّنَهُ النَّبِيُّ ﷺ

فِي جُبَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَدَّمَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ، فَكَانَ فِيمَا ظَهَرَ مِنْ صَلَاتِهِ: «اللَّهُمَّ هَذَا عَبْدُكَ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ فَقُتِلَ شَهِيدًا أَنَا شَهِيدٌ عَلَى ذَلِكَ»، رواه النسائي (١٩٥٣) وصححه الشيخان. إن تصدق الله: هذه بالقلب؛ لأن لفظ (التصديق) أخص بالقلب، (صدق الله): بالقلب والعمل وهو الجهاد.

وأدلة هذا كثيرة.

أدلة هذا شرط الصدق:

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، وَمُعاذٌ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ، قَالَ: «يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ»، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «يَا مُعَاذُ»، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ ثَلَاثًا، قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ»، قَالَ يَا رَسُولَ اللهِ: أَفَلَا أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قَالَ: «إِذًا يَتَّكِلُوا» وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا.

(خ ١٢٨) (م ٣٢).

وعَنْ رِفَاعَةَ الْجُهَنِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْكَدِيدِ فقال: «أَشْهَدُ عِنْدَ اللهِ لَا يَمُوتُ عَبْدٌ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، ثُمَّ يُسَدِّدُ إِلَّا سُلِكَ فِي الْجَنَّةِ».

رواه أحمد (١٦٢١٥) وصححه الشيخان. وقد تقدم بطوله.

وعَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَمَعِي نَفَرٌ مِنْ قَوْمِي فَقَالَ: «أَبْشِرُوا وَبَشِّرُوا مَنْ وَرَاءَكُمْ، أَنَّهُ مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ صَادِقًا بِهَا دَخَلَ الجَنَّةَ» فَخَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ ﷺ نُبَشِّرُ النَّاسَ، فَاسْتَقْبَلَنَا عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَرَجَعَ بِنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ الله، إِذًا يَتَّكِلَ النَّاسُ؟ قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ الله ﷺ. رواه أحمد (١٩٥٩٧) وصححه الألباني.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: (وَشَفَاعَتِي لِمَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصًا، يُصَدِّقُ قَلْبُهُ لِسَانَهُ، وَلِسَانُهُ قَلْبَهُ).

رواه أحمد (١٠٧١٣) وصححه الأرنؤوط.

وهذه الأدلة صريحة في اشتراط الصدق، وهناك أدلة أخرى تفيد هذا المعنى، مثل:

حديث الأذان: (قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الجَنَّةَ) تقدم.

ونحوه من الأدلة، فقوله: (من قلبه) تفيد الصدق.

وأجمع أهل العلم على هذا الشرط.

وقال البربهاري رحمه الله تعالى: شهادة أن لا إله إلاّ الله لا تقبل من صاحبها إلاّ بصدق النية وخالص اليقين. (شرح السنة).

وقال ابن رجب رحمه الله تعالى: إِخوَانِي، إذا فهمتم هذا المعنى فهمتم معنى قوله ﷺ: «من شهد أن لا إله إلا الله صدقًا من قلبه حرمه الله على النار».

فأما من دخل النار من أهل هذه الكلمة فلقِلَّة صدقه في قولها والعمل بها، فإن هذه الكلمة إذا صدق قائلها طهرت القلب من كل ما سوى الله تعالى، ومتى بقي في القلب أثر لسوى الله فمن قلة الصدق في قولها.

من صدق في قوله «لا إله إلا الله» لم يحب سواه، لم يرج إلا إياه، لم يخش أحدًا إلا الله، لم يتوكل إلا على الله، لم يبق له بقية من آثار نفسه وهواه. (كلمة الإخلاص).

عقيدة أهل البدع في شرط الصدق:

جميع المرجئة يخالفون هذا الشرط بحصر الصدق على القلب، وقد تقدم ما يبطل هذا.

وكل من أجاز نوعًا من الشرك كالاستغاثة بغير الله تعالى فهو مخالف لهذا الشرط كالصوفية والأشاعرة والرافضة ونحوهم.

وكل من أجاز الحكم بغير شرع الله تعالى فهو مخالف لهذا الشرط، كالحزبية، وهي في حقيقتها مبنية على الكذب والفكر العلماني الديمقراطي.



وخامسها: الإخلاص الصحيح المنافي للشرك القبيح، وبه يعرف أهل التوحيد من أهل التنديد. وهو: سلامة القلب والاعتقاد والقول والفعل من الشرك والكفر بأنواعها.

وهو قدر زائد على مجرد النية.

الشرح:

الإخلاص بمعناه العام والخاص من أهم شروط كلمة التوحيد، وشروط العبادات كلها، فلا تصح عبادة إلا بإخلاص.

(الإخلاص الصحيح) ويكون بأمرين: الأمر الأول :إفراد الله تعالى بالربوبية والصفات والعبادة.

والأمر الثاني :تنقية العمل وتصفيته عن شوائب الشرك التي تطرأ.

ومن لوازم الإخلاص البراءة من الشرك، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾، والحنيف، هو: الموحِّد المتبريء من الشرك وأهله.

وسيأتي تفصيله في شرط مستقل.

وأما الإخلاص المبني على جهل فغير مراد هنا، كترك العمل بحجة الخوف من الرياء، وفعل ما يشين بقصد زجر النفس عن الرياء...

(المنافي للشرك القبيح) والشرك كله قبيح عقلًا وشرعًا.

والشرك: أن تجعل لله تعالى ندًّا في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته.

ومنه الأكبر، وهو: كل عمل أو قول أو اعتقاد وصفه الشرع بالشرك وكان مخرجًا من الملة. كالذبح لغير الله تعالى، والاستغاثة بالأموات، والسحر...

والأصغر: وهو: كل عمل أو قول وصفه الشرع بالشرك وليس مخرجًا من الملة.

كالحلف بغير الله تعالى.

(وبه يعرف أهل التوحيد من أهل التنديد) لأن الإخلاص هو التوحيد، فمن لزمه كان من أهل التوحيد الحنفاء، ومن خالفه بالشرك كان من أهل التنديد الكفرة، ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِالله فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾، ومصير كل واحد منهما معروف.

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، مَا الْمُوجِبَتَانِ؟ فَقَالَ: «مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِالله شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِالله شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ» (م ٩٣).

ومن أهل التنديد عبيد القبور، الذين فاق شركهم عندها شرك كفار قريش عند الأصنام.

(وهو: سلامة القلب والاعتقاد والقول والفعل من الشرك والكفر بأنواعها)

هذا من أجمع التعاريف للإخلاص فهو يعم جميع أنواعه.

ويفهم منه أن الإخلاص في القلب والقول والعمل، كما أن التوحيد قول وعمل واعتقاد.

قال تعالى: : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ ، فجعل الصلاة والزكاة من جملة الإخلاص.

وعلى هذا يتنزل قول من عرَّف الإخلاص بـ: إفراد الله تعالى بالعبادة.

والعبادة قول وعمل واعتقاد.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ * أَلَا للهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾.

فجعل من أفرد الله تعالى بالعبادة مخلصًا، ومن صرف العبادة الباطنة والظاهرة مشركًا كاذبًا وكافرًا.

(وهو قدر زائد على مجرد النية) فالنية أوسع معنًى من جهة، فهي تشمل الإخلاص، وقد يراد بها تمييز العمل عما يشابهه، كالتمييز بين الفرض والنفل. أو العبادة والعادة. والتفريق بين ما يقصد وما لا يقصد لسبب نسيان أو غيره.

ومن جهة أخرى قد تكون النية موافقة للحق، وقد تكون مخالفة.

وهناك فرق لطيف بين الإخلاص والصدق، فالإخلاص ينفي الشرك، والصدق ينفي النفاق.

أدلة شرط الإخلاص:

قال تعالى: ﴿أَلَا للهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾، قال قتادة: شهادة أن لا إله إلا الله.

قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، جاء عن ابْنِ عَبَّاسٍ: مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَعْنِي: خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا

الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ». (خ ٩٩).

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ مُخْلِصًا دَخَلَ الجَنَّةَ» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى، وَإِنْ سَرَقَ، يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى، وَإِنْ سَرَقَ» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى، وَإِنْ سَرَقَ، يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى، وَإِنْ سَرَقَ، وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي الدَّرْدَاءِ» رواه النسائي في الكبرى (١٠٨٩٨).

وعن عمرَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (أَذِّن في الناسِ أنهُ مَنْ شَهِدَ: أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، مُخْلِصًا دَخَلَ الجَنَّةَ). رواه البزار () وصححه الألباني (الصحيحة/ ١١٣٥).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا قَالَ عَبْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ قَطُّ مُخْلِصًا، إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، حَتَّى تُفْضِيَ إِلَى العَرْشِ، مَا اجْتَنَبَ الكَبَائِرَ» رواه الترمذي (٣٥٩٠) وحسنه الألباني. وتقدم حديث وصية نوح.

وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنهما قال: أَخْبَرَنَا مَنْ شَهِدَ مُعَاذًا حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ. يَقُولُ: اكْشِفُوا عَنِّي سَجْفَ الْقُبَّةِ أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أُحَدِّثَكُمُوهُ إِلَّا أَنْ تَتَّكِلُوا سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ يَقِينًا مِنْ قَلْبِهِ، لَمْ يَدْخُلِ النَّارَ، أَوْ دَخَلَ الجَنَّةَ وَلَمْ تَمَسَّهُ النَّارُ» رواه أحمد (٢٢٠٦٠) بهذا اللفظ، وهو صحيح.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: (وَشَفَاعَتِي لِمَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصًا، يُصَدِّقُ قَلْبُهُ لِسَانَهُ، وَلِسَانُهُ قَلْبَهُ).

رواه أحمد (١٠٧١٣) وصححه الأرنؤوط.

كل هذا يدل على اشتراط الإخلاص لمن نطق بها وعلم معناها.

وأما بدون إخلاص فلا تنفع قائلها، فقد قالها المنافقون بدون إخلاص، وقال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾.

ومصير عبيد القبور كذلك.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: وهذان الأصلان (أي: الإخلاص والمتابعة) هما تحقيق الشهادتين اللتين هما رأس الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمدًا رسول الله.

فإن الشهادة لله بأنه لا إله إلا هو تتضمن إخلاص الإلهية له، فلا يجوز أن يتأله القلب غيره، لا بحب ولا خوف ولا رجاء، ولا إجلال ولا إكرام ولا رغبة ولا رهبة؛ بل لا بد أن يكون الدين كله لله، كما قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله﴾ [الأنفال: ٣٩].

فإذا كان بعض الدين لله، وبعضه لغير الله كان في ذلك من الشرك بحسب ذلك.

عقيدة أهل البدع في شرط الإخلاص:

كل من يسوغ الشرك فهو مخالف لهذا الشرط.

وغالب اهل البدع عندهم خلل كما مر غير مرة.

وسادسها: المحبة المنافية للبغض.

المحبة لله تعالى ودينه ورسله، ولكلمة (لا إله إلا الله) ومعناها ومقتضاها وأهلها، والعمل بها. ولازم المحبة البغض والبراءة من الشرك وأهله والتحذير منه، ومن كان أكمل محبة وبراءة كان أكمل توحيداً.

الشرح:

المحبة ركن عظيم في العبادة والتوحيد، وهي القائد إلى الله تعالى.

(المنافية للبغض) بغض التوحيد وأهله، أو الدعوةِ إليه، من صفات الكفار والمشركين والمنافقين، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَـهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾.

وشرح هذا في نواقض الإسلام.

(المحبة لله تعالى) ومحبة الله تعالى تعبدًا وخضوعًا لكماله وعظمته، وكمال صفاته وأفعاله، وشكرًا لنعمه، هي العبودية الحقة.

فإن ذلك من خصائص إلهيته فلا يستحق ذلك إلا الله تعالى وحده وكل محبوب سواه إن لم يحب لأجله فمحبته فاسدة.

لا يجوز أن يكون غير الله تعالى محبوبًا مرادًا لذاته، بل لا رب إلا الله، ولا إله إلا هو المعبود الذي يستحق أن يحب لذاته ويعظَّم لذاته كمال المحبة والتعظيم.

ومتى استقرت هذه الكلمة في النفس والقلب، فإنه لا يعدلها شيء، ولا يفضل عليها، فإن حبها يملأ القلب فلا يتسع لغيرها، وعندئذ يجد حلاوة الإيمان.

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لله، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ)، (خ ٢١) (م ٤٣).

قال ابن رجب رحمه الله تعالى: ومحبة الله تنشأ تارة من معرفته، وكمال معرفته: تحصل من معرفة أسمائه وصفاته وأفعاله الباهرة، والتفكير في مصنوعاته وما فيها من الإتقان والحكم والعجائب، فإن ذلك كله يدل على كماله وقدرته وحكمته وعلمه ورحمته.

وتارة ينشأ من مطالعة النعم...

ومحبة الله على درجتين:

إحداهما: فرض، وهي المحبة المقتضية لفعل أوامره الواجبة والانتهاء عن زواجره المحرمة، والصبر على مقدوراته المؤلمة، فهذا القدر لابد منه في محبة الله تعالى، ومن لم تكن محبته على هذا الوجه فهو كاذب في دعوى محبة الله.

فمن وقع في ارتكاب شيء من المحرمات أو أخل بشيء من فعل الواجبات فلتقصيره في محبة الله تعالى حيث قدم محبة نفسه وهواه على محبة الله، فإن محبة الله لو كملت لمنعت من الوقوع فيما يكرهه.

وإنما يحصل الوقوع فيما يكرهه لنقص محبته الواجبة في القلوب وتقديم هوى النفس على محبته، وبذلك ينقص الإيمان، كما قال ﷺ: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) الحديث.

والثانية من المحبة وهي فضل مستحب: أن ترتقي المحبة من ذلك إلى التقرب بنوافل الطاعات والانكفاف عن دقائق الشبهات والمكروهات، والرضى بالأقضية المؤلمات. (فتح الباري لابن رجب، عند حديث/ ١٦).

(ودينه) محبة الدين من محبة الله تعالى، ورأس الدين التوحيد، الذي أساسه شهادة التوحيد.

(ورسله) محبة جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام من محبة الله تعالى، لأنه أرسلهم بالحق والتوحيد، وهم الدعاة إلى شهادة التوحيد، كما قررناه في (التيسير في قصص الأنبياء).

وعَنْ طَارِقٍ الْمُحَارِبِيِّ المتقدم قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ مَرَّ فِي سُوقِ ذِي الْمَجَازِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ، وَهُوَ يَقُولُ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا).

ومحبة الرسول ﷺ على درجتين:

إحداهما: فرض، وهي ما اقتضى طاعته في امتثال ما أمر به من الواجبات والانتهاء عما نهى عنه من المحرمات والرضى بذلك، وأن لا يجد في نفسه حرجًا مما جاء به ويسلم له تسليمًا، وأن لا يتلقى الهدى من غير مشكاته، ولا يطلب شيئًا من الخير إلا مما جاء به.

والثانية: فضل مندوب إليه، وهي: ما ارتقى بعد ذلك إلى اتباع سنته وآدابه وأخلاقه، والاقتداء به في هديه وسمته وحسن معاشرته.

(فتح الباري لابن رجب/ حديث ١٦)

(ولكلمة (لا إله إلا الله) ومعناها ومقتضاها وأهلها والعمل بها) يحب هذه الكلمة لما دلت عليه من المعنى العظيم، ويحب ما اقتضته من البراءة من الشرك وأهله، ويحب اعتقاد معناها، والعمل بها بقلبه وجوارحه، وهذا يعني أن يعبد الله تعالى عن حب للعبادة، ويكره المخالفة لشرعه لما فيها من مخالفة شهادة التوحيد، فجميع الذنوب ناتجة عن ضعف المحبة والتوحيد كما سبق.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلهِ﴾، ومن كان أشد حبًّا لله تعالى كان أكثر طاعة، وأبعد عن الشرك والبدع والمعاصي.

قال ابن رجب رحمه الله تعالى: «لا إله إلا الله» تقتضي ألا يحب سواه، فإن الإله هو الذي يطاع، محبة وخوفًا ورجاءً.

ومن تمام محبته محبة ما يحبه، وكراهة ما يكرهه، فمن أحب شيئًا مما يكره الله، أو كره شيئًا مما يحبه الله لم يكمل توحيده ولا صدقه في قول: «لا إله إلا الله»، وكان فيه من الشرك الخفي بحسب ما كرهه مما يحبه الله، وما أحبه مما يكرهه.

(ولازم المحبة البغض والبراءة من الشرك وأهله والتحذير منه، ومن كان أكمل محبة وبراءة كان أكمل توحيدًا) وهذا اللازم صحيح فالشرك يناقض التوحيد، قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى عند هذه الآية في المسائل الثلاث: الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللهَ، لا يَجُوزُ لَهُ مُوَالاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ، والدليلُ قوله تعالى: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾. أ.هـ

وهذه الآية تفسر معنى (لا إله إلا الله) فـ(لا إله) تعني: البراءة من كل معبود سوى الله تعالى، (إلا الله) إثبات العبادة والتوحيد لله عز وجل وحده، فلا يستقيم توحيد العبد إلا بالبراءة من الشرك وأهله، أما من يدعي أنه مسلم موحد وهو مع ذلك يوالي المشركين ويحبهم فهذا يتناقض مع دعواه أنه من الموحدين، وهذه المسألة مبسوطة في (نواقض الإسلام) وقد شرحناها هنالك.

أدلة شرط المحبة:

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا للهِ﴾، فبين أن أهل (لا إله إلا الله) حبهم مقرون بالتوحيد، وحب غيرهم مقرون بالشرك.

عَنْ أَبِي رَزِينٍ الْعُقَيْلِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا

عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ تُحْرَقَ فِي النَّارِ أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنْ أَنْ تُشْرِكَ بِاللهِ، وَأَنْ تُحِبَّ غَيْرَ ذِي نَسَبٍ لَا تُحِبُّهُ إِلَّا للهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا كُنْتَ كَذَلِكَ فَقَدْ دَخَلَ حُبُّ الْإِيمَانِ فِي قَلْبِكَ، كَمَا دَخَلَ حُبُّ الْمَاءِ لِلظَّمْآنِ فِي الْيَوْمِ الْقَائِظِ». رواه أحمد (١٦١٩٤) وفيه مقال.

وتقدم حديث أنس بمعناه مختصرًا.

عقيدة أهل البدع في شرط المحبة:

أما عبيد القبور فهم ممن يحبون الأنداد كحب الله تعالى أو أشد، حتى أنهم عند الشدة لا يذكرون إلا الموتى ممن يزعمون أنهم يغيثون الملهوف.

ويزاد عند الصوفية ما يسمونه بالعشق، وليس كلفظ المحبة، واستعماله في حق الله تعالى لا يجوز لأنه يوهم معنًى فاسدًا، وهو لفظ مبتدع.

قال ابن الدباغ الصوفي: اعلم أن العشق أقصى درجات المحبة...

وزعم ابن عربي الملحد أن الله تعالى يرى في الصور الجميلة...

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: المشهور من لفظ العشق هو محبة النكاح ومقدماته، فالعاشق يريد الاستمتاع بالنظر إلى المعشوق، وسماع كلامه أو مباشرته بالقبلة والحس والمعانقة...(قاعدة في المحبة ٥٥).

ومن ضلال غلاة الصوفية زعمهم أن يعبدون الله تعالى بالمحبة له، لا خوفًا منه ولا طلبًا لجنته، وزعموا أن من عبد الله تعالى لأجل الجنة عابد لفرجه وبطنه...

والمعتزلة والأشاعرة وعلماء الكلام يرون حقيقة المحبة من المخلوق، وينكرون صفة المحبة لله تعالى، وهذا مخالف لهذا الشرط (شرط المحبة)، قال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾، وصفة المحبة لله تعالى حقيقية ولا تماثل صفات المخلوقين، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

والحزبية، إلى جانب ما عندهم من الشرك في الحكم، فهم كذلك ضعفاء في باب الولاء والبراء لله تعالى، وهما من لوازم الشهادتين كما تقدم.



وسابعها: القبول المنافي للرد والكبر والجحود.

وهو: تسليم القلب لمعناها ودلالاتها، المثمر للانقياد والعمل.

الشرح:

القبول في الأصل من أعمال القلب رضًا وتسليمًا، والقول والعمل من لوازمه، فمن علم بمعنى شهادة أن لا إله إلا الله، وأيقن بمدلولها، وجب عليه قبولها بقلبه والعمل بذلك، فإن ردها لم يكن مسلمًا.

(المنافي للرد والكبر والجحود) الرد يكون بعدم اعتقاد القلب بأن شهادة التوحيد حق، أو بعدم قبولها مع علمه أنها حق، وهذا يسمى الجحود، ويكون باللسان والجوارح، فالأول ككفار قريش، والثاني كإبليس وفرعون، أو يكون الرد بعدم العمل بمقتضاها من إفراد الله تعالى بالعبادة كحال عبيد القبور، ومن يحكم بغير ما أنزل الله تعالى مستحلًّا، ويكون بعد العلم بأنها حق ويردها لكبره قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ﴾.

(وهو: تسليم القلب لمعناها ودلالاتها، المثمر للانقياد والعمل) وهذا من أحسن التعاريف للقبول، وفيه أنه لا يتم إلا بالقول والعمل، والمحبة تكون من ثمرات القبول، كما أن القبول من آثار اليقين والصدق.

أدلة شرط القبول:

قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، المؤمن يسلم لله تعالى.

والمشرك والمنافق عكسه يتكبر عن قبولها، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات: ٣٥].

عن أبي بكر رضي الله عنه قال: يَا رَسُولَ الله مَا نَجَاةُ هَذَا الْأَمْرِ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ قَبِلَ مِنِّي الْكَلِمَةَ الَّتِي عَرَضْتُ عَلَى عَمِّي، فَرَدَّهَا عَلَيَّ، فَهِيَ لَهُ نَجَاةٌ».

رواه أحمد (٢٠) وصححه الأرنؤوط. فردها عليَّ: نطق بها وقبلها.

وعَنِ ابْنِ الْمُسَيِّبِ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه، أَنَّ أَبَا طَالِبٍ لَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ، دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ: «أَيْ عَمِّ، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ» وَنَزَلَتْ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾.

(خ ٣٨٨٤) واللفظ له (م ٢٥). فلم يقبلها فمات على الكفر.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ» (م ١٥٣).

عقيدة أهل البدع في شرط القبول:

كل من رد ما دلت عليه من شرط الإخلاص في العبادة، وصرفَها لغير الله تعالى فقد خالف هذا الشرط، وعلى رأس هؤلاء من يمارسون شرك القبور، واستحلال الحكم بغير شرع الله تعالى من علمانية وغيرها.

كما خالفه الذين يصفون القرآن الكريم والسنة بدلالة ظنية، والعقل دلالة قطعية، وهؤلاء هم كثير من أهل الكلام من معتزلة وأشاعرة.



وثامنها: الانقياد المنافي للترك، وهو: نطق اللسان وعمل الجوارح بما دلت عليه، وخضوع القلب وعمله، وهو قدر زائد على القبول، فأصل القبول بالقلب، وأصل الانقياد بالجوارح.

الشرح:

الانقياد الأصل أنه من عمل الجوارح واللسان، وهو مرتبط بالقلب، فلا انقياد ظاهر إلا مع انقياد باطن، فتلازم الظاهر والباطن لا ينكره إلا أهل البدع.

فتبين أن القبول أصله في القلب والعمل تابع، والانقياد أصله في الجوارح، بمعنى أن الانقياد ثمرة القبول.

واليقين يتعلق بباب الخبر وتصديقه، والانقياد متعلق بباب الأمر وتنفيذه، (المنافي للترك) ترك التوحيد إلى الشرك، أو ترك السنة - وهي من لوازم التوحيد- إلى البدع، ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ والفتنة الشرك والبدع.

(وهو: نطق اللسان وعمل الجوارح بما دلت عليه) نطق اللسان بشهادة التوحيد، وعمل الجوارح بالعبادة لله تعالى وحده لا شريك له، والبعد عن الذرائع التي تفضي إلى الشرك.

(وخضوع القلب وعمله) وهو ما يسمى: انقياد القلب.

وقال مطرف: «صلاح القلب بصلاح العمل، وصلاح العمل بصحة النية».

أدلة شرط الانقياد:

قال تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، أسلم: انقاد وخضع.

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ الله لَـمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، الآية دليل على أن الانقياد الصحيح يعني البراءة من الشرك وأهله.

وأجمع السلف على أن الإيمان لا يصح إلا بالنية والقول والعمل، ورأس الإيمان شهادة التوحيد.

هل يصح توحيد بلا عمل مع التمكن منه؟

لا يصح؛ لأن تلازم الاعتقاد والعمل ثابت لا ينفك أحدهما عن الآخر.

(أَلا وَإِن فِي الجَسَد مُضْغَة إِذا صلحت صلح الجَسَد كُله وَإِذا فَسدتْ فسد الجَسَد كُله أَلا وَهِي الْقلب).

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «ومن الممتنع أن يكون الرجل مؤمناً إيماناً ثابتاً في قلبه بأن الله فرض عليه الصلاة والصيام والزكاة والحج؛ ويعيش دهره لا يسجد لله سجدة، ولا يصوم رمضان، ولا يؤدي لله زكاة، ولا يحج إلى بيته، فهذا ممتنع، ولا يصدر هذا إلا مع نفاق في القلب وزندقة، لا مع إيمان صحيح...».

«الفتاوى» (٧/ ٦١٦).

وهذه المسألة هي ما يسميه شيخ الإسلام رحمه الله تعالى (جنس العمل)، فتارك جنس العمل كافر بإجماع السلف.

وقد حاول بعض الحزبيين نعش هذه المسألة ليتسنى لهم التكفير من جهة، والطعن في العلماء من جهة أخرى.

والحقيقة: أن هذه المسألة نظرية أكثر من كونها واقعية، ومبتدعها الأول هم الأشاعرة، ويدندن بها الحزبيون في عصرنا.

عقيدة أهل البدع في شرط الانقياد:

جميع المرجئة يخالفون هذا الشرط لأنهم يخرجون العمل من الإيمان.

وكل القبورية تخالف هذه الشرط.

ومن يحكم بغير ما أنزل الله تعالى كذلك.

ثم المعاصي فيها نوع مخالفة أيضًا؛ لأن تمام الانقياد ينفي المعاصي.



وتاسعها: البراءة من الشرك وأهله، والكفر بالطاغوت، وهو من لوازم المحبة، وإفراده توضيح لأهميته، فقد يحب التوحيد ولا يبرأ من ضده.

الشرح:

والبراءة تعني البغض والبعد عن الشرك وأهله.

وتقدم توضيحه من كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وشرحناه بأوسع في شرح (رسالة في معنى الطاغوت).

(والكفر بالطاغوت) وصفة الكفر بالطاغوت: أن تعتقد بطلان ألوهية وربوبية غير الله تعالى، وتتركها وتبغضها، وتكفر أهلها وتعاديهم.

الطاغوت الشرك والكفر بأنواعها.

قال ابن جرير رحمه الله تعالى: والصواب من القول عندي في الطاغوت أنه كل ذي طغيان على الله فعبد من دونه، إما بقهر منه لمن عبده، وإما بطاعة ممن عبده له، وإنسانًا كان ذلك المعبود، أو شيطانًا، أو وثنًا، أو صنمًا، أو كائنًا ما كان من شيء.

والكفر بها يشمل البراءة والمعاداة بالقلب والجوارح، والجهاد لطمسها، كما قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلهِ﴾.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: فهذا البغض والعداوة والبراءة مما يعبد من دون الله ومن عابديه: هي أمور موجودة في القلب، وعلى اللسان والجوارح، كما أن حب الله وموالاته وموالاة أوليائه: أمور موجودة في القلب، وعلى اللسان والجوارح. وهي تحقيق قول " لا إله إلا الله ".

(وهو من لوازم المحبة) وقد تقدم الإشارة إلى هذا في شرح شرط المحبة.

فمن أحب التوحيد أبغض الشرك، ومن أحب السنة أبغض البدعة...

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى عند هذه الآية في المسائل الثلاث: الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللهَ، لا يَجُوزُ لَهُ مُوَالاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ، والدليلُ قوله تعالى: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾. أ.هـ فنفس الإيمان براءة من الشرك.

وجملة الفائدة في ذلك أن تعلم أن هذه الكلمة هي مشتملة على الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، فإنك لما نفيت الإلهية، وأثبت الإيجاب لله سبحانه، كنت ممن كفر بالطاغوت وآمن بالله تعالى. أ.هـ من تيسير العزيز الحميد ٥٥.

وقال الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ رحمه الله تعالى: شهادة أن لا إله إلا الله دلت على الكفر بما عبد من دون الله تضمنًا لا التزامًا، ولم يقل أحد من المسلمين والعرب: إنها دلت على ذلك التزامًا إلا على قول طائفة ضالة من المتكلمين، يزعمون أن معناها: لا قادر على الاختراع إلا الله. (مصباح الظلام ٢/ ٢٦٩).

(وإفراده توضيح لأهميته، فقد يحب التوحيد ولا يبرأ من ضده) البراءة من الشرك من لوازم الشروط السابقة، لكن إفرادها لمزيد توضيح وتنبيه؛ لأن كثيرًا من الناس يغفلون عن فهم هذا الشرط، فكم تجد ممن يدعي الإسلام وهو مقيم على عبادة غير الله تعالى، والحكم بغير شرعه، وقد كان بعض الاشتركيين يظهر الإسلام لكن

يغضب ويسب الدين إذا سمع من يحذر من الفكر الاشتراكي.

وهكذا تجد عند القبورية وغيرهم.

أدلة شرط الكفر بالطاغوت:

وقال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِالله فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوت﴾.

وقال: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى الله لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾.

عَنْ أَبِي مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ، يَقُولُ: (مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مَنْ دُونِ الله، حَرُمَ مَالُهُ، وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى الله) (م ٢٣).

فدلت الآيات والأحاديث على أنه لا يصح الإيمان والتوحيد إلا بالبراءة من الشرك وأهله، واجتنابهم ومعاداتهم.

والقرآن كله من أوله إلى آخره، في تقرير معنى (لا إله إلا الله)؛ فهي كلمة الإخلاص، ولا يتمسك بها إلا من كفر بالطاغوت وآمن بالله تعالى.

عقيدة أهل البدع في شرط الكفر بالطاغوت:

من خلال الشروط السابقة تفهم أن عامة أهل البدع عندهم مخالفة على قدر الشرك والبدع التي عندهم.

وشرهم من يمارس الشرك بعبادة غير الله تعالى كالقبورية، والسحرة والكهنة، والعلمنيون من الحزبيين وغيرهم الذين يتحاكمون إلى الطاغون ويحكمون به.

ومنهم من يرى الشرك عند القبور تخلفًا لا شركًا، وشر منهم من يرى وسائل الشرك والاجتماع عندها من الآثار المهمة.

****

وجميع أهل البدع والضلالة، والشرك والجهالة، مخالفون لهذه الشروط أو بعضها، وكثير منهم توحيده نفي للتوحيد أو بعضه.

الشرح:

(وجميع أهل البدع والضلالة) من خلال العرض السابق قد تبين لك ما عندهم من الضلال في فهم معنى شهادة التوحيد، وفي العمل بها.

(والشرك والجهالة) أهل الشرك والملاحدة كلهم مخالفون لهذه الكلمة، لكن الشر الأكثر حين يتظاهر المشرك بالإسلام ثم يجر العدد الكبير من المسلمين إلى الكفر والشرك الواضح، فيخرج الناس بسببه من الدين.

(مخالفون لهذه الشروط أو بعضها) سبق بيانه.

وهذه المخالفات منها ما يخرج من الإسلام كعبيد القبور والعلمانيين، ومنهم دون ذلك.

(وكثير منهم توحيده نفي للتوحيد أو بعضه) كحال الجهمية والرافضة وغلاة الصوفية، وقد شرح هذا شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم.

فيفسرون التوحيد بنفي الصفات، ووحدة الوجود، والأخذ بالأسباب...

وبالتالي يفسرون الشرك بتفاسير غريبة، وقد شرحنا هذا في كتابنا: (المختصر المفيد في عقيدة أهل السنة وأهل البدع).

فعند المعتزلة التوحيد ما قال الجبائي أبو علي: إن القديم يوصف بأنه واحد على وجوه ثلاثة: أحدها: بمعنى أنه لا يتجزأ و لا يتبعض.

الثاني: بمعنى أنه منفرد بالقدم لا ثاني له.

الثالث: إنه منفرد بسائر ما يستحق به الصفات النفسية...أ.هـ

ومراده بالأول: نفي الصفات الخبرية؛ لأنها عندهم أجزاء وأبعاض.

ومراده بالثاني: أن الصفات والأفعال حادثة مخلوقة لا أزلية؛ لأن إثبات أزليتها يلزم منه – على حد زعمهم – تعدد الآلهة.

ومراده بالثالث: أن ما ورد من الصفات كالعلم والسمع... أن المراد بها ذاته سبحانه، فيقولون: عالم بذاته، سميع بذاته...

فرجع معنى التوحيد عندهم إلى نفي الأفعال الاختيارية لله تعالى، وإلى نفي الصفات، فنفوا توحيد الربوبية، وتوحيد الصفات، ولم يقروا بتوحيد الألوهية.

وهذا المذهب مستقى من كتب الفلاسفة.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «ومن العجب أن المعتزلة يفتخرون بأنهم أهل التوحيد والعدل، وهم في توحيدهم نفوا الصفات نفياً يستلزم التعطيل والإشراك...».

وعقيدة الأشاعرة ونحوهم يشرحها الشهرستاني: الباري تعالى واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته لا شبيه له، وواحد في أفعاله لا شريك له.

وهو كمذهب المعتزلة سواء، وإن اختلفوا في بعض التفاصيل.

ومرادهم بالثالث أيضًا: نفي اختيار العبد والقول بالجبر ونفي الأسباب...

ومذهب غلاة الصوفية فسره زعماؤهم بقولهم: لا موجود إلا الله.

أي: كل موجود هو الله تعالى.

وعبيد القبور منهم غارقون في شرك الألوهية كما تقدم.

والرافضة شر الجميع، والشرك عندهم هو عدم الإقرار بولاية علي رضي الله عنه.

ومن ذلك: تفسير ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ يعني: لئن أشركت في الولاية غير علي.



الفصل الرابع

إعرابُها

وإعرابها على ما دلت عليه اللغة وقواعد النحو.

(لا) نافية للجنس، و (إله) اسمها، وخبرها محذوف دل عليه السياق، وهو (بحق)، و(إلا) أداة استثناء، ولفظ الجلالة مستثنى.

الشرح:

((لا) نافية للجنس) وهذا قول الجمهور، وهو مذهب سيبويه.

(و (إله) اسمها) اسمها مبني على الفتح، في محل نصب، وهذا قول الجمهور، وهو مذهب سيبويه.

ومذهب سيبويه أنها واسمها في محل رفع بالابتداء، ولا عمل لها في الخبر، ومذهب الأخفش أن اسمها في محل رفع، وهي عاملة في الخبر.

(وخبرها محذوف دل عليه السياق، وهو (بحق)) قدر فيه الأكثرون خبر (لا) محذوفًا، وهذا الأصل حين لا يذكر في الجملة، جريًا على القاعدة العربية في تقدير الخبر.

فقدره المحققون (بحق) لأن آلهة الباطل موجودة في الوجود، كالوثن والقبر، ولأن المقصود نفي ما عدا إله الحق.

ونازع فيه بعض المبتدعة وغيرهم، بحجة نفي الماهية من غير قيد أعم من نفيها بقيد.

وقدره بعضهم (في الوجود) وبعضهم (لنا). وهذا قاصر في المعنى، وعليه لوازم فاسدة.

وقال الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ رحمه الله تعالى: وبعضهم قدر الخبر (ممكن) ومعناه: أنه لا يوجد إله آخر، وهذا جهل بمعنى الإله.

في المسألة أكثر من خمسة أقوال، أصحها الأول؛ لدلالة السياق عليه، مع دلالة القرآن الكريم والسنة الصحيحة، كما تقدم عند الكلام على معنى شهادة التوحيد.

((إلا) أداة استثناء) وهذا لا خلاف فيه.

(إلا) للاستثناء المطلق.

وقيل: هي بمعنى (غير) واستدل كقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا﴾.

وقيل: هي استثناء منقطع.

(ولفظ الجلالة مستثنى) وهو مرفوع والعامل فيه هو العامل في الخبر، لأنه بدل منه عند البصريين، وعطف بيان عند الكوفيين.

وبقي ستة أوجه أخرى:

الأول: لفظ الجلالة بدل من موضع لا مع اسمها. وهما في محل رفع على الابتداء، ونسبه ابن هشام إلى الأكثر.

الثاني: الإبدال من الضمير المستكن في اسم الفاعل (إله) لأنه بمعنى (معبود). واختاره بعض المتأخرين.

الثالث: (إلا الله) صفة لـ(إله) على الموضع، أي: موضع (لا) مع اسمها، أو موضع اسمها قبل دخول "لا".

الرابع: أن يكون الاستثناء مفرغًا، و(إله) اسم (لا) بني معها، و(إلاّ الله) الخبر.

وفيه نظر؛ لأنّ (لا) عند سيبويه وجمهور البصريين لا عمل لها في الخبر إذا بني الاسم معها.

الخامس: أن (لا إله) في موضع الخبر، و(إلا الله) في موضع المبتدأ.

وهذا ضعيف.

السادس: أن تكون (لا) مبنية مع اسمها، و(إلا الله) مرفوع بإله، ارتفاع الاسم بالصفة، واستغني بالمرفوع عن الخبر، كما في مسألة: ما مضروب الزيدان، وما قائم العمران.

وذهب بعضهم إلى نصب لفظ الجلالة على الاستثناء.

أي: (إلا اللهَ) صفة لاسم (لا) على المحل، لأنه في محل نصب.

وقيل: منصوب على حركة اسم (لا) على اللفظ.

فائدة: قول (لا إله إلا الله) جميع حروفها جوفية ليس فيها شيء من الحروف الشفهية، للإشارة إلى الإتيان بها من خالص جوفه، وهو القلب لا من الشفتين.

الثانية: أنه ليس فيها حرف معجم، بل جميعها متجردة عن النقط، إشارة إلى التجرد عن كل معبود سوى الله تعالى.



الباب الثالث

قواعد وضوابط في كلمة التوحيد

١ -كلمة التوحيد أول الواجبات.

الشرح:

١ - أول دعوة الرسل والأنبياء من نوح إلى محمد عليهم الصلاة والسلام كانت إلى كلمة التوحيد، ومن قَبِل التوحيد قبل سائر الشريعة.

وهذا هو السر في قوله ﷺ: (فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله) وفي رواية: (أن يشهدوا أن لا إله إلا الله...) فمن وصل إلى هذه الرتبة وقبل التوحيد سيقبل الصلاة والصيام، والمرأة تقبل الحجاب إلى غير ذلك.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «والنبي ﷺ لم يَدعُ أحداً من الخلق إلى النظر ابتداءً ولا إلى مجرد إثبات الصانع بل أول ما دعاهم إليه الشهادتان كما قال في حديث معاذ[1].

وقال شيخ الإسلام: «السلف والأئمة متفقون على أن أول ما يؤمر به العباد الشهادتان»[2].



(١) «درء التعارض ٨/ ٦).

(٢) «درء التعارض» (٨/ ١١-١٢).

٢ -كلمة التوحيد تعصم قائلها.

٣- من قال كلمة التوحيد فهو مسلم حتى يُظهر خلافها.

الشرح:

٢-٣- من قال كلمة التوحيد وجب الكف عن دمه وماله وعرضه؛ إلا أن يتبين منه بعد ذلك ما ينتقض كلمة التوحيد، أو يكون حدُّه القتل كالزاني المحصن والخوارج ونحوهم.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِّ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ» (خ ٢٥) (م ٢٢).

وتقدم حديث المقداد وأبي هريرة وجندب وغيرهم عند قولنا: (وكلمة العصمة).

فالمعاملة في الدنيا مبنية على الظاهر وهو النطق بها واجتناب الشرك، ولأن الإسلام يمحو ما قبله، وبالتالي تكون صفحته بيضاء فلا يوجد سبب لاستحلال دمه...

قال الصنعاني رحمه الله تعالى: قلتُ: لا شكَّ أنَّ مَن قال: (لا إله إلاَّ الله) من الكفار حُقَنَ دمُه ومالُه حتى يتبيَّن منه ما يُخالف ما قاله، ولذا أنزل الله في قصَّة محلم بن جثامة[(١)]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ [النساء:٩٤] الآية، فأمرهم الله تعالى بالتثبُّت في شأن مَن قال كلمةَ التوحيد، فإن تبيَّن التزامُه لمعناها كان له ما للمسلمين وعليه ما عليهم، وإن تبيَّن خلافُه لَم يحقن بمجرد التلفظ دمه وماله.

وهكذا كلُّ مَن أظهر التوحيد وجب الكَفُّ عنه إلى أن يتبين منه ما يخالف ذلك، فإذا تبيَّن لَم تنفعه هذه الكلمةُ بمجردها، ولذلك لَم تنفع اليهود بل أَمَرَ ﷺ بقتلهم. (تطهير الاعتقاد).



(١) رواه أحمد (٦/ ١١)، والترمذي (٣٠٣٠)، وأسانيدها ضعيفة، وأصل الحديث في البخاري (٤٥٩١) ومسلم (٣٠٢٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وليس فيه ذكر محلم بن جثامة.

٤- الإقرار بكلمة التوحيد شرط لقبول الأعمال.

الشرح:

لا تصح العبادة إلا بالتوحيد والاتباع.

قال ﷺ: (من نذر أن يطيع الله فليطعه) هذا هو التوحيد والاتباع، (ومن نذر أن يعصي الله) بالشرك أو بالبدع (فلا يعصه) لأن العبادة بهذه الصورة لا تقبل ولا تصح.

وهذان الأصلان هما جماع الدين وأساسه ورأسه وعموده: أن لا نعبد إلا الله تعالى لا نشرك به شيئاً، وأن نعبده بما شرع لا نعبده بالبدع، وهذا هو العمل الصالح الحسن، ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [سورة الكهف:١١٠]، ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [سورة الملك:٢]، والعمل الصالح الحسن هو أخلصه لله تعالى وأصوبه للسنة، وبهذا يكون الدين كله لله تعالى.

وهذان الأصلان هما تحقيق الشهادتين اللتين هما رأس الإسلام:

شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمداً رسول الله. فإن الشهادة لله بأنه لا إله إلا هو تتضمن إخلاص الإلهية له سبحانه، فلا يجوز أن يتأله القلبُ لغيره لا بحب ولا خوف، ولا دعاء، ولا ذبح.. بل لابد أن يكون الدين كله لله، كما قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [سورة البقرة:١٩٣]، فإن كان بعضه لله وبعضه لغيره كان فيه من الشرك بحسبه.

والشهادة بأن محمداً رسول الله ﷺ تتضمن اتباعه وتصديقه وطاعته، فلا دين إلا ما شرعه الله تعالى ورسوله، ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [سورة الحشر:٧]، «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»، «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»، متفق عليه عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

فمن أشرك أو ابتدع فقد جاء بعمل مخالفٍ للدين، ولم يأت بما أُمر به، فعمله لا يصح ولا يقبل منه، وعلى هذا اتفق جميع الرسل، كما سيأتي.

والناس في هذين الأصلين منقسمون إلى أربعة أقسام:

١- مخلص متبع.

٢- مخلص مبتدع.

٣- متبع غير مخلص.

٤- مشرك مبتدع...

وكلهم هلكى إلا الأول، عافانا الله تعالى من الشرك والبدع!. أ.هـ

من مختصر قواعد التوحيد.

****

٥- من حقق (لا إله إلا الله) دخل الجنة.

٦- كلمة التوحيد لا ينتفع بها إلا العامل بها.

الشرح:

٥- كما هو حال الأنبياء عليهم السلام، إبراهيم ﷺ وغيره، فإنهم حققوا التوحيد. وهكذا الصديقون الذين وصفهم الله عز وجل بقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾. ومعنى حقق التوحيد فلم يشرك بالله عز وجل شيئًا لا أكبر ولا أصغر، وحقق لوازم التوحيد وهي لزوم السنة واجتناب البدعة، وفعل الطاعة واجتناب المعصية. فمن كان هكذا فإنه يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب. أما إذا كان عنده أصل التوحيد، بحيث اجتنب الشرك، ولكن عنده قصور في باب السنة أو في باب الطاعة، فهذا التحقيق مانع من الخلود في النار، لكن قد يعذب على ذنوبه ثم يكون مآله إلى الجنة.

وقد قدمنا في فصل الفضائل عددًا كبيرًا من الأحاديث الدالة على هذا.

٦- كلمة التوحيد تنفع من التزم بالتوحيد والبراءة من الشرك، وهذا هو العامل بها، أما مجرد النطق مع وجود الشرك فلا تكفي، وهؤلاء اليهود والنصارى والمنافقون قالوها، ومع هذا هم من الخالدين في النار، وهكذا عبيد القبور لا ينتفعون بقولها ما داموا مقيمين على الشرك القبوري.

وقد سبق كلام كثير حول هذا.



٧- كلمة التوحيد لا تقبل إلا باعتقاد النفي والإثبات.

الشرح:

فأركان لا إله إلا الله: هي أجزاؤها التي لا تتحقق بدونها وهي اثنان: نفي، وإثبات. إثبات عبادة الله تعالى، ونفي استحقاق العبادة الحق عن غيره.

النفي في قوله (لا إله). والإثبات في قوله (إلا الله).

فـ(لا إله) نفت الألوهية عن كل ما سوى الله، و(إلا الله) أثبتت الألوهية لله وحده لا شريك له.

وهذا الأسلوب يعرف بأسلوب القصر، وهو أسلوب عربي معروف، وجملة القصر في قوة جملتين، إحداهما مثبتة، والأخرى منفية.

وهذا الأسلوب من أقوى الأساليب التي يؤتى بها لتمكين الكلام وتقريره في الذهن؛ لدفع ما يرد عليه من إنكار أو شك.

وطريقُ القصر في كلمة التوحيد: النفي والاستثناء.

والأدلة:

﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء:٣٦]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ [الحج:٦٢]، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣]، ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾



٨- كلمة التوحيد قول واعتقاد وعمل.

٩- البراءة من الشرك أساس في صحة كلمة التوحيد.

الشرح:

٨- التوحيد قول وعمل واعتقاد، وقد تقدم في بيان شروط (لا إله إلا الله) أن الصدق والإخلاص والقبول والانقياد كلها تشتمل على القول والعمل والاعتقاد.

قال تعالى: : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ ، فجعل الصلاة والزكاة من جملة الإخلاص والتوحيد.

وعلى هذا يتنزل قول من عرَّف الإخلاص بـ: إفراد الله تعالى بالعبادة.

٩- وهذا لا خلاف فيه، ولذلك كان من شروط شهادة التوحيد البراءة من الشرك وأهله، كما تقدم في الشرط التاسع.

وقال الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله تعالى: اعلم رحمك الله تعالى أن كلمة الإخلاص (لا إله إلا الله) لا تنفع قائلها إلا بمعرفة معناها، وهو نفي الإلهية عما سوى الله تعالى، والبراءة من الشرك في العبادة، وإفراد الله تعالى بجميع أنواعها.

(والبراءة من ضدها) وهو الشرك والكفر، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوت﴾. ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾.



١٠- كلمة التوحيد أصل لصحة الجهاد.

١١- فضائل كلمة التوحيد لكل عبد بقدر تحقيقها.

الشرح:

١٠- لأن الجهاد شرع لأجل رفع راية التوحيد، ونشرها في العالم كله، فمتى خلا هذا الجهاد من التوحيد كان قتالًا غير شرعي.

وعَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا القِتَالُ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ فَإِنَّ أَحَدَنَا يُقَاتِلُ غَضَبًا، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً، فَرَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ، قَالَ: وَمَا رَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ قَائِمًا، فَقَالَ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ» (خ ١٢٣) (م ١٩٠٤).

١١- من مات عليها دخل الجنة، وكفَّر الله تعالى عنه من سيئاته بقدر توحيده وإخلاصه، فكلما كان العبد أعظم توحيداً كان أتم هداية، وأكمل أمناً، وأوسع تكفيراً لذنوبه.

وفضائل التوحيد تتفاوت من شخص إلى آخر فقد يعرف الإنسان معنى التوحيد ويعرف فضائله؛ لكن يقصر في العمل والاعتقاد، فيكون له من الفضائل بحسبه.



١٢- كلمة التوحيد الذكر المبارك.

١٣- من كان أكثر ذكرًا بكلمة التوحيد كان أعظم أجرًا.

الشرح:

١٢- أفضل الذكر ترديد كلمة التوحيد، لمن يعمل بها ويعتقدها.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»، (م ٣٥)، ولفظ الترمذي وغيره (وَأَرْفَعُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، ولفظ ابن أبي شيبة: (أَعْظَمُهَا لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ).

ولذلك دخلت في أذكار الصباح والمساء والصلاة والحج والوضوء وغيرها.

وقد تقدم الكلام على هذا.

١٣- الأجور تترتب على كثرة العمل مع الإخلاص والاقتداء، فمتى استوى الإخلاص والاقتداء كان الأعظم أجرًا هو الأكثر ذكرًا.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، قَالَ: (مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ، يَوْمَهُ ذَلِكَ، حَتَّى يُمْسِيَ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ) (خ ٣٢٩٣) (م ٢٦٩١).



١٤- كلمة التوحيد تمنع الخلود في النار.

١٥- كلمة التوحيد حسنة لا يعدلها شيء.

الشرح:

١٤- من فضائل كلمة التوحيد لمن قالها صادقًا مخلصًا أنه لا يخلد في النار، كما في حديث البطاقة، وأحاديث الشفاعة.

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ» (خ ٤٤) (م ١٩٣).

وما ذهب إليه الخوارج والمعتزلة من إنكار الشفاعة للموحدين مردود عليهم.

١٥- كلمة التوحيد حسنة عظيمة، بل (لا إله إلا الله) أحسن الحسنات، لأنها مشتملة على التوحيد ونفي الشرك، فلا تقف أمامها سيئة مهما عظمت ما دام أن المسلم قد خلا في عقيدته وعمله من الشرك الأكبر.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَمِنَ الحَسَنَاتِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟ قَالَ: «هِيَ أَفْضَلُ الحَسَنَاتِ» رواه أحمد (٢١٤٨٧) وصححه الألباني.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: ولهذا كانت (لا إله إلا الله) أحسن الحسنات، وكان التوحيد بقول: لا إله إلا الله، رأس الأمر. (الفتاوى ١/ ٢٣).



١٦- كل عمل خالف كلمة التوحيد أو فقدَها فهو باطل.

الشرح:

١٦- سواء كانت هذه المخالفة كلية أو جزئية.

فالكلية في كل عمل اشتمل على الشرك والكفر الأكبرين، والجزئية كالرياء في بعض الأعمال، فالأول يبطل ويحبط جميع الأعمال، والثاني يحبط العمل الذي لابسه، ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

وهؤلاء الذين يتعبدون عند القبور ويسمون أنفسهم الزهاد والفقراء ونحو ذلك، ويظنون أنهم من الأولياء، والواقع أنهم أولياء الشيطان، ويصدق فيهم قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾.

ومثلهم الذين يشرعون القوانين أو يفضلونها على حكم الله تعالى.

****

١٧- خير الوصايا كلمة التوحيد.

١٨- من مات على كلمة التوحيد فقد ختم له بخير.

الشرح:

١٧- خير ما توصي به المسلمين عمومًا، ومن تحب خصوصًا هو الحث على كلمة التوحيد اعتقادًا وعملًا، والتحذير مما يضادها؛ لأن بذلك نجاتهم، ولا يزال نبينا ﷺ يوصي بذلك إلى آخر ساعة من حياته، وهي وصية الأنبياء عليهم السلام قبله.

وعْن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي اللهُ عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (أَلا أُعَلِّمُكُمْ مَا عَلَّمَ نُوحٌ ابْنَهُ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: آمُرُك بِقَوْلِ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فَإِنَّ السَّمَاوَاتِ لَوْ كَانَتْ فِي كِفَّةٍ لَرَجَحَتْ بِهَا، وَلَوْ كَانَتْ حَلْقَةً قَصَمَتْهَا). رواه ابن أبي شيبة (٣٠٠٣٨).

١٨- من مات عليها وهو معتقد لها وعامل بها فله الجنة دون عذاب، أو مآله إلى الجنة بعد الجزاء، دل على ذلك أحاديث عذاب القبر والحساب والشفاعة.

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الجَنَّةَ» رواه أبو داود (٣١١٦) وصححه الألباني.

ومن مات مخالفًا لها لم يستفد من ذلك نجاة من الخلود في النار.



١٩- الشفاعة من خصائص أهل كلمة التوحيد.

٢٠- لا يُكفَّر من قال كلمة التوحيد إلا بنقضها.

الشرح:

١٩- الشفاعة لا تنال إلا بالتوحيد، ومن كان على خلاف التوحيد فلا حظ له فيها، وقد تقدم توضيحه.

ولا يقبل الله تعالى الشفاعة لمشرك، كما قال تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾. وقال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ وإنما يأذن لأهل (لا إله إلا الله).

٢٠- من قال كلمة التوحيد فقد ثبت إسلامه بيقين ودليل ظاهر، فلا يكفر إلا بدليل صحيح لا بمجرد الشبهات.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «وكذلك التكفير حق الله تعالى، فلا يكفَّر إلا من كفره الله ورسوله...» «الرد على البكري» (ص ٢٥٧).

وقال ابن الوزير رحمه الله تعالى: «إن التكفير سمعي محض لا مدخل للعقل فيه، وإن الدليل على الكفر لا يكون إلا سمعياً قطعياً لا نزاع في ذلك».

«العواصم والقواصم» (٤/ ١٧٨).



الفهارس

